من بريق

العقد الفريد

لابن عبد ربه

عرض وانتقاء

الدكتور ناصر الأنصاري

دار الشروق


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من بريق

العقد الفريد

لابن عبد ربه

الطبعة الأولى

١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م

أستسها محمد المعلم عام ١٩٦٨

القاهرة : ١٦ شارع جواد حسني - هاتف : ٣٩٣٤٥٧٨ - ٣٩٢٩٣٣٣

فاكس ٣٩٣٤٨١٤ (٠٢) تلكس 93091 SHROK UN

بيروت ص ب : ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣

فاكس : ٨٦٧٥٥٥ - تلكس . SHOROK 20175 LE

من بريق

العقد الفريد

لابن عبد ربه

عرض وانتقاء

الدكتور ناصر الأنصاري

دار الشروق



المقـــدّمة

كتب التراث العـربى بحـر واسع من العـلوم والمعـرفة. ومن أهم أنـواع هـذه الكتب التراثيـة ، تلك التى تعنى بعمـلية الجمـع والانتخـاب مـن الإنتاج الأدبـى : من الأدب والشعر والنثـر والخطب والأمثال والأقـوال المأثورة والحكم.

فالإنتاج العربى القديم فى هذه المجالات يتمتع بالثراء ، ولكنه عادة لم يكن يُجمع ، بل كان يُقـال فى مناسبات معينـة ، وقد يُدون وقد لا يـدون ، ولكنه فى الأغلب كان يُحفظ فى الصدور ليخرج حسب المناسبة .

ومع التطـور العادى لـلأمور، تـوفر البعض على جمع هـذا الإنتاج لحفظـه بالتدوين ، ولكن الضخامة كانت تحول أحيانًا دون تدوينه كله ، فكان البعض يتجه إلى انتخاب البعض منه وتصنيفه وتبويبـه بحسب الموضوعات التى يراها القائم بعملية الجمع والانتخاب ، ليخرج بـه مدونًا فى شكل كتاب مخطوط يتم تداوله بين الناس ، خاصة داخل دور الحكم وفى قصور الأمراء.

ويبدو أن عملية الجمع والانتخاب والتبويب هـذه قد نشأت ساذجة ، ثم تطورت . ومن أوائل كتب المنتخبات ما قام به «الجاحظ» فى «البيان والتبين» ، ثم أدخل «ابن قتيبـة» فى كتـابـه «عيـون الأخبـار» فكرة جـديـدة فى التبـويب والتصنيف بجمع الموضـوعـات المتشـابهة تحت عنـوان واحـد مثل : كتاب السلطان ، وكتاب الحرب ، وكتاب الأطعمة ، وهكذا . . .

ونظرا لغزارة الإنتاج الأدبى ، فقد تشعبت الموضوعات وتفرعت ، مما جعل هـذه الكتب تخرج فى صورة هى أقرب إلى صور الموسوعات منها إلى الكتب بمفهومنا الحديث . فنجد صاحب الكتاب أو الموسوعة يتعرض للتاريخ والجغرافيا والآداب والسلوك والإنسان والحيوان والحرب والسلم والنصائح والمواعظ والطعام والشراب والشعر والغناء والألحان والبخل والكرم والصفات والطباع . . . ويتطرق البعض أحيانا إلى الحكم وأساليبه والسياسة والتولية والعزل . . . .

وأصبحت هـذه الكتب الموسوعية تقع فى آلاف الصفحات المخطوطة . ومع النقل ، أصبحت هذه المخطوطات عرضة للاختلاف بين نسخة وأخرى ما بين زيادة أو نقص أو تعديل فى بعض الألفاظ ، وأحيانًا تدخُّل الناسخ بآرائه الشخصية أو معلوماته الخاصة . ومع انتشار المطابع وبدء ظهور الكتب المطبوعة ، بدأ المحققون يتوفرون على كل ما يتحصلون عليه من نسخ من نفس الكتاب ولنفس المؤلف لمقابلتها بعضها ببعض للخروج بالكتاب الأصح فى نظرهم لطبعه ونشر الفائدة منه .

تحقيق كتب التراث وأهميته :

ومنذ عشرينيات القرن الحالى ، أخرجت المطابع المصرية الكثير من كتب التراث العربى المحققة بمعرفة مجموعة من العلماء الذين بذلوا جهدًا مشكورًا لإحياء التراث . وقد أدت دور النشر المختلفة سواء الخاصة أو الحكومية دورا هاما ، وحتى الآن فى عمليات تحقيق ونشر كتب التراث ، ومنها لجنة التأليف والترجمة والنشر ودار الكتب ثم الهيئة العامة للكتاب .

وقد يتساءل البعض: وما أهمية كتب التراث لنا الآن؟! فهى كتب تجمع إنتاجا أدبيا ظهر منذ قرون، ثم جمعت ودونت منذ قرون، ثم حققت وطبعت منذ سنوات طويلة.. !وما علاقة هذا بالمستقبل الذى نصبو إليه ونتطلع إليه؟!

ولكن من لا ماضى له، لا مستقبل له. والشعوب التى لا تاريخ لها تبحث عن أى أصل تتشبث به لتبنى عليه. فما بالنا نحن، وتاريخنا زاخر بالأمجاد من جميع الوجوه، ومن السهل علينا أن نبنى عليه لمستقبلنا؟ فعلينا فقط أن نبحث عنه ونعيه ونتعظ منه ونعتبر به.

إن الشجرة ضعيفة الجذور تنبت فروعًا ضعيفة، بينما الشجرة ذات الجذور العميقة يمكنها ببعض الرعاية البسيطة المنظمة أن تنبت الفروع الأقوى دائما بل والأعلى.

ولعلها حالة نفسية نمر بها، نظرًا لعراقة جذورنا وضخامتها وعمقها، تجعلنا لانهتم بها.. بينما ذوو الجذور الضعيفة يتمسكون بأى جذور واهية حتى ولو كانت جذور الآخرين، ويحاولون بشتى الوسائل تعميقها وتضخيمها، إيمانا منهم بأهميتها لمستقبلهم.

فنحن إذن أولى بتشجيع الأجيال الجديدة للاطلاع على تراثنا، ومن خلاله على تاريخنا وأمجادنا فى مختلف المجالات، لعل ذلك يكون مشجعا ومحفزا لهم لتأكيد الهوية والاعتزاز والافتخار بأجيال الآباء والأجداد على مدى خمسين قرنا، وبالتالى النظر إلى المستقبل بطريقة أفضل وبإيمان أكثر بذاتنا وبإمكانية التقدم والتفوق.

المختصرات:

ومع الإيقاع السريع والمتلاحق لنمط الحياة السائد الآن، فمن غير المقبول

أن نطالب بقراءة جميع كتب التراث أو بقراءة كتاب بعينه كله ؛ فبعض هذه الكتب تصل صفحاته المطبوعة إلى أربعة آلاف أو خمسة آلاف صفحة، وبعضها يزيد على ذلك. فهذا عمل المتخصصين . أما غير المتخصص، فسوف يجد نفسه بين حلين : إما أن يهمل تماما هذا النوع من الكتب الضخمة التى تحمل وقته وميزانيته ما لا يطيق، وإما ألا يهملها تماما .

لذلك لجأ أهل الغرب إلى حل ثالث، وهو المختصرات، أى اختصار كتب تراثهم الهامة والضخمة مع التركيز على ما يهم قارئ العصر الحديث الاطلاع عليه . فنجد مختصرات لأمهات الكتب لديهم ولكبار الكتاب عندهم تلخص الأفكار الواردة فى هذه الكتب ، وعند هؤلاء الكتاب. مثل كتب فولتير نجدها مختصرة فى المكتبات الفرنسية ، ومثل كتاب قصة الحضارة لديورنت. والأمثلة لا تقع تحت حصر. بل ولجأ هؤلاء إلى حيلة أخرى، هى جمع الأفكار الأساسية لمجموعة من الكتب الهامة التى كانت ذات تأثير واضح فى التراث الإنسانى ، ونشرها معا فى كتاب واحد . فنجد أيضا على سبيل المثال : أعظم مائة كتاب ، وأعظم مائة شخصية ، وأعظم خمسين قطعة موسيقية مسجلة ، وهكذا. . . .

الفهرسة والحاسب الآلى :

ومع التقدم التكنولوجى ، أصبحت هذه المواد تفهرس وتبوب وتجمع على الحاسب الآلى ، وأصبح من اليسير جدا على أى شخص أن يبحث عن الموضوعات التى يرغب الرجوع إليها أو الاطلاع عليها من خلال الكمبيوتر بجميع أدواته التى أصبحت متاحة بسهولة شديدة. وهنا تأتى أهمية الفهرسة

التى اتجه إليهـا اهتمام المحققين عنـدنـا فى كتبهـم، وهـو مـا سنعـرض لـه فى الفهارس التى وضعت للكتـاب الذى نعرضه هنا . فأى كتـاب فى هذا الحجم بدون فهـارس يصبح كالغـابة الكثيفـة الأشجار المتعـددة الثمرات المتشـابكة الأغصان ، ويصبح من الصعب على من يقتحمها أن يخرج منها بسهولة أو أن يظفر بما يريده منها .

مختصر العقد الفريد :

وسيرًا على هـذا المنـوال المتقـدم ، فقـد اخترت أحـد كتب التراث العـربى الشهيرة ، وهو «العقـد الفريـد» ، وطبقت عليه المنهج السـابق. فهذا الكتيب الذى بين يـدى القارئ هـو إذن مختصر لكتاب آخـر يقع فى سبعـة مجلدات ، متوسط كل مجلد منها حوالى خمسمائة صفحة . وإذا كان كاتبه الأصلى «ابن عبد ربـه» قـد اختار أو انتخـب من الإنتاج الأدبـى الكبير المتوافـر لـديـه فى وقت كتابتـه ، فقـد اخترت وانتخبت بـدورى منه القليل لعـرض الأفكـار الـرئيسة التى رأيت أنها قـد تفيد القـارئ ، وقد تحمسـه للاطـلاع على الأصل ، أو على الأقل للإحاطة به إحاطة شبه شاملـة بموضوعاته الأساسية ، مع عرض بعض الأمثلة منه .

اسـم الكتـاب : العقد الفريد

اسم المؤلـــف : أبو عمر شهـاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب ابن حُـديـر بن سـالم القـرطبى الأنـدلسى ، وشهـرتـه ابن عبـدربه . وهـو مولى هشـام بن عبد الـرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموى .

الناشــــــــر : لجنة التأليف والترجمة والنشر ــ بالقاهرة .

سنة النشــــــر : نشرت الأجزاء الستة الأولى بين سنتى ١٩٤٠ ، ١٩٤٩ بينما نشر الجزء السابع وهو الخاص بالفهارس سنة ١٩٥٣ .

المحققــــون : الشرح والضبط والتصحيح وعنونة الموضوعات وترتيب الفهارس ، قام بها كل من : أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الإبيارى وعبد السلام هارون .

الفهرســـة : الجزء السابع الخاص بفهارس الكتاب التفصيلية وضعها كل من : محمد فؤاد عبد الباقى ومحمد رشاد عبد المطلب .

نبذة عن المؤلف :

ولد ابن عبد ربه سنة ٢٤٦ هـ . ونشأ بقرطبة بالأندلس ، وتثقف ثقافة عصره من فقه وتفسير وحديث ونحو وعروض وتاريخ وأدب . وقد اتصف بصفات الندماء من حب للموسيقى وغرام بالصوت الحسن والوجه الحسن ، وظهر ذلك فى كتاب «العقد الفريد» ؛ ففيه الثقافة الدينية واضحة ، والثقافة الأدبية واضحة ، وميله إلى الغناء والموسيقى واضح . وقد لازم الأمير عبد الله الذى تولى عرش قرطبة سنة ٢٧٥هـ . ونادمه زمنا ومدحه بمدائح ، كما لازم من تولى بعد موته سنة ٣٠٠ هـ . وهو الأمير عبد الرحمن الناصر. وقد توفى ابن عبد ربه سنة ٣٢٧ هـ . عن عمر يناهز الثمانين .

الكتاب :

تصور المؤلف كتابه عقدًا من العقود التى تتحلى بها النساء على صدورهن ، وهو مؤلف من خمس وعشرين جوهرة كريمة ، اثنتا عشرة فى جانب واثنتا عشرة أخرى فى الجانب الآخر. ولكنه لم يسم إلا الاثنتى عشرة

الأولى ، فلؤلؤة وفريدة وزبرجدة وجمانة ومرجانة وياقوته وجوهرة وزمردة ودرة ويتيمة وعسجدة ومجنبة ، أما الاثنتا عشرة التى فى الجانب الآخر، فهى نفس الأسماء مكررة، فاللؤلؤة الثانية والفريدة الثانية . . إلخ . . . وهو هنا يتبع السيمترية التى تتبع عادة فى عقود النساء، أما فى الوسط وهى الثالثة عشرة فأسماها الواسطة .

فعقده منظوم من جواهر كريمة ، وفيه من كل صنف جوهرتان متقابلتان إلا الواسطة ، وهو خيال شاعرى لطيف لم يسبقه أحد إليه . إلا أنه كما يبدو لم يقف طويلاً عند اختيار اسم كل جوهرة لتطابق أو تشابه كل موضوع . فمثلا اللؤلؤة الأولى عن السلطان واللؤلؤة الثانية عن الفكاهات والملح ، والفريدة الأولى فى الحروب والفريدة الثانية فى الطعام والشراب . . . إلخ . . .

وهو يقدم لكل باب بمقدمة من إنشائه ومن شعره إن وجد ، ثم ينقل من أقوال وأشعار الآخرين . وأحيانا نراه ينقد ما ينقل فنجد له آراء جيدة فى النقد الأدبى ، فيستحسن أو يستهجن أو يخالف الآخرين فى آرائهم فى أحسن بيت .

منهج المؤلف فى كتابه : ـ

يشرح المؤلف بأسلوبه المنهج الذى انتهجه فى تأليف كتابه ، فيقول : وقد ألفت هذا الكتاب ، وتخيرت جواهره من متخير جواهر الآداب ومحصول جوامع البيان ، فكان جوهر الجوهر ولباب اللباب . وإنما لى فيه تأليف الأخبار، وفضل الاختيار ، وحسن الاختصار. وفرش[1] فى صدر كل

(١) الفرش أى التقديم .

كتاب ، وما سواه فمأخوذ من أفواه العلماء ومأثور عن الحكماء والأدباء .
واختيار الكلام أصعب من تأليفه .

. . . فتطلبت نظائر الكلام ، وأشكال المعانى ، وجواهر الحكَم ، وضروب الأدب ، ونوادر الأمثال ، ثم قرنت كل جنس منها إلى جنسه ، فجعلته بابا على حدته ليستدل الطالب للخبر على موضعه من الكتاب ونظيره فى كل باب . . .

. . . وقصدت من جملة الأخبار وفنون الآثار أشرفها جوهرا وأظهرها رونقا وألطفها معنى وأجزلها لفظا وأحسنها ديباجة وأكثرها طلاوة وحلاوة أخذا بقول الله تبارك وتعالى : ﴿ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ﴾[1] وقال يحيى بن خالد : الناس يكتبون أحسن ما يسمعون ، ويحفظون أحسن ما يكتبون ، ويتحدثون بأحسن ما يحفظون . . . . . وقد حذفت الأسانيد من أكثر الأخبار، طلبا للاستخفاف والإيجاز، وهربا من التثقيل والتطويل، لأنها أخبار ممتعة وحكم ونوادر لا ينفعها الإسناد باتصاله، ولا يضرها ما حذف منها . . . .

. . . وقد نظرت فى بعض الكتب الموضوعة، فوجدتها غير متصرفة فى فنون الأخبار ولا جامعة لجمل الآثار، فجعلت هذا الكتاب كافيا شافيا جامعا لأكثر المعانى التى تجرى على أفواه العامة والخاصة ، وتدور على ألسنة الملوك والسوقة . وحلّيت كل كتاب منها بشواهد من الشعر تجانس الأخبار فى معانيها، وتوافقها فى مذاهبها ، وقرنت بها غرائب من شعرى ليعلم الناظر فى كتابنا هذا . . . .

---

(١) الزمر : ١٨

. . . وسميته كتاب العقد الفريد لما فيه من مختلف جواهر الكلام مع دقة السِّلك[1] وحسن النظام . وجزأته على خمسة وعشرين كتابا ، وقد انفرد كل كتاب منها باسم جوهرة من جواهر العقد . .

أجزاء العقد الفريد :

الكتاب الأول : اللؤلؤة في السلطان .

الكتاب الثانى : الفريدة فى الحروب .

الكتاب الثالث : الزبرجدة فى الأجواد والأصفياء .

الكتاب الرابع : الجمانة فى الوفود .

الكتاب الخامس : المرجانة فى مخاطبة الملوك .

الكتاب السادس : الياقوتة فى العلم والأدب .

الكتاب السابع : الجوهرة فى الأمثال .

الكتاب الثامن : الزمردة فى المواعظ والزهد .

الكتاب التاسع : الدرة فى التعازى والمراثى .

الكتاب العاشر : اليتيمة فى النسب وفضائل العرب .

الكتاب الحادى عشر : العسجدة فى كلام العرب .

الكتاب الثانى عشر : المجنبة فى الأجوبة .

الكتاب الثالث عشر : الواسطة فى الخطب .

---

(١) السلك : كالنظم « وزنا ومعنى » .

الكتاب الرابع عشر : المجنبة الثانية فى التوقيعات والفصول والصدور وأخبار الكُتَّاب .

الكتاب الخامس عشر : العسجدة الثانية فى الخلفاء وتواريخهم وأيامهم .

الكتاب السادس عشر: اليتيمة الثانية فى أخبار زياد والحجاج .

الكتاب السابع عشر: الدرة الثانية فى أيام العرب ووقائعهم .

الكتاب الثامن عشر : الزمردة الثانية فى فضائل الشعر ومقاطعه ومخارجه .

الكتاب التاسع عشر: الجوهرة الثانية فى أعاريض الشعر وعلل القوافى .

الكتاب العشرون : الياقوتة الثانية فى علم الألحان واختلاف الناس فيه .

الكتاب الحادى والعشرون : المرجانة الثانية فى النساء وصفاتهن .

الكتاب الثانى والعشرون : الجمانة الثانية فى المتنبئين والمحرورين والبخلاء والطفيليين .

الكتاب الثالث والعشرون : الزبرجدة الثانية فى بيان طبائع الإنسان وسائر الحيوان .

الكتاب الرابع والعشرون : الفريدة الثانية فى الطعام والشراب .

الكتاب الأخير : اللؤلؤ الثانية فى النتف والهدايا والفكاهات والملح .

منهج التصحيح :

يقول أحمد أمين فى تقديمه للكتاب المنشور عن لجنة التأليف والترجمة والنشر فى القاهرة سنة ١٩٤٠ ، فى تعداده للنسخ التى أخذ الكتاب منها :

(أ) النسخة المأخوذة بالتصوير الشمسى عن أصح نسخ الآستانة ، وهى أقرب النسخ إلى الصحة وفيها زيادات كثيرة ليست فى غيرها .

(ب) النسخة الخطية المحفوظة بدار الكتب المصرية رقم ٧٧٥٢، وهى كثيرة التحريف والنقص .

(جـ) النسخة المطبوعة فى بولاق ١٢٩٣ هـ .

(د) النسخة المطبوعة فى المطبعة العثمانية ١٣٠٢ هـ .

(هـ) النسخة المطبوعة بالمطبعة الشرقية ١٣٩٥ هـ .

(و) نسخة أخرى طبع المطابع الشرقية ١٣١٦ هـ .

(ز) النسخة المطبوعة بالمطبعة الأزهرية ١٣٢١ هـ .

(حـ) النسخة المطبوعة بالمطبعة الجمالية ١٣٣١هـ .

(طـ) النسخة المطبوعة بمطبعة مصطفى محمد ١٣٥٣هـ .

وهذه النسخ جميعها تكاد تستوى فى التحريف والتصحيف ، ومنها كلها خرجت هذه النسخة المصححة .

ويلاحظ القارئ الجهد الهائل المبذول فى عملية التصحيح والضبط والشرح أحيانا ووضع عناوين جانبية للموضوعات وترتيبها وتوضيبها وفهرستها فى كل جزء . أما الجزء السابع وهو الخاص بالفهارس التفصيلية ، فيحتاج إلى بعض التفصيل .

منهج الفهرسة :

درج المحققون المحدثون على وضع فهارس للكتب محل التحقيق ، كذلك يفعل بعض الكتاب فى مؤلفاتهم ، بل إن الجامعات أصبحت تحتم على المؤلف

أو الـدارس أو البـاحث أن يـدقق ويهتم بـالفهـارس ومفـاتيح الموضـوعـات الأساسيـة حتى يسهل الـرجوع إليه . ومـع التطور التكنولـوجى الهائل فى مجال الحاسب الآلى واستخـدامه ، أصبحت هـذه الفهـارس ضرورة لا غناء عنهـا ، وبدونها لا يمكن أن تكون الاستفادة تامة وكاملـة . فالفهارس تساعد الباحث فى الوقوف على المادة ، خاصة إذا كانت غزيرة ومتنوعة .

ورغم أن فهارس كتـاب العقد الفريـد تم وضعها فى أربعينيات هـذا القرن بمعرفة كل من محمد فؤاد عبد الباقى ومحمد رشاد عبد المطلب ، إلا أن شمولها وكمالها يضعها فى مكانـة عالية يسهل معها جدا إدخالها على بـرامج الكمبيوتر مع بعض التعديلات اليسيرة للغاية .

والجزء السـابع الخاص بـالفهـارس يقع فى ٢٩٦ صفحـة تضم اثنى عشر فهرسا هى :ـ

١ ـ فهـرس الآيات القرآنيـة .	٣٣ صفحـة .
٢ ـ فهرس الأحاديث النبوية .	٥٠ صفحـة .
٣ ـ فهرس الأعلام .	٧٩ صفحـة .
٤ ـ فهـرس الأمـثـال .	٣ صفحات .
٥ ـ فهـرس الأمكنـة والبلدان والبقـاع .	٢٣ صفحـة .
٦ ـ فـهـرس الأيـام .	٥ صفحات .
٧ ـ فهرس الأمم والقبائل والبطون والفرق .	٨ صفحات .
٨ ـ فـهـرس الكتب .	٩ صفحات .
٩ ـ فهرس الأشعار .	٧١ صفحـة .
١٠ ـ فهرس أنصاف الأبيات .	٤ صفحات .
١١ ـ فهرس الأرجاز .	٧ صفحات .

١٢ ـ فهرس الموضوعات . ٤ صفحات .

ولعله من المناسب ضرب بعض الأمثلة من كل فهرس :

من فهرس آيات القرآن الكريم :

وهـذا الفهرس موضـوع بترتيب سـور القرآن الكـريم ، ثم بترتيب الآيـات داخل كل سورة بالشكل التالى :

رقم السورة	اسم السورة	رقم الآية	نص الآيـــة	الجزء فى الكتاب	الصفحة	السطر
٢	البقرة	٨٣	وقولوا للناس حسنا .	٢	٣٩٣	١٣
٧	الأعراف	١٩٩	خذ العفو وأمر بالعرف .	٢	٤١٦	١٠
				٤	٢١٢	١٧

من فهرس الأحاديث النبوية الشريفة :

وهى مرتبـة ترتيبا أبجـديا بأول حرف فيهـا من باب الهمزة إلى بـاب الياء ، ومثالها :

الحرف	نص الحديث	الجزء فى الكتاب	الصفحة	السطر
الهمزة	استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فإن كل ذى نعمة محسود .	١	٢٤٠	١٦
الهمزة	إن من الشعر لحكمة .	٥	٢٧٤	٢
الراء	روحوا القلوب ساعة بعد ساعة ، فإن القلوب إذا كلت عميت .	٦	٣٧٩	٧

من فهرس الأعلام :

وهى مرتبة أبجديا وأوله فى باب الهمزة آدم عليه السلام ، ويذكر عدد مرات ذكره بالجزء والصفحة والسطر. وآخر اسم فى باب الهمزة أيوب عليه السلام .

وبإحصاء عدد الأعلام الورادة أسماؤهم فى هذا الفهرس تحت باب الهمزة فقط ، وجدتهم خمسمائة علم ، بعضهم ذكر مرة واحدة فى الكتاب كله وبعضهم ذكر مئات المرات ، وجميع هذه المرات محصورة ومعدودة فى الفهرس .

من فهرس الأمثال :

وهى أيضا بالترتيب الأبجدى للحرف الأول من الكلمة الأولى :

المثل : ـ أبصر من زرقاء اليمامة . جـ ٣ ص ٧١ س ٤ .

كلام الليل يمحوه النهار. جـ ٦ ص ١٩٩ س ٨ .

كما تدين تدان . جـ ٢ ص ١٨٩ س ٨ .

من فهرس الأمكنة والبلدان والبقاع :

وهى أيضا مرتبة أبجديا من الهمزة إلى الياء ، وأمامها رقم الجزء فى الكتاب والصفحة والسطر :

الإسكندرية : ٣/ ٤٠٤ ـ ١٨ و ٦/ ٢٥٤ ـ ١٩ .

أى أنها ذكرت مرتين فى الجزأين الثالث والسادس فى الصفحات والأسطر المذكورة .

من فهرس الأيام :

يوم أحد : ٢/ ٢٩٥ ـ ٢ ، و٤/ ٣٣٦ ـ ٩ ، و ٤/ ٣٩٠ ـ ٩ ، و٥/ ٨٦ ـ ١٤ .

يوم بدر : ١/ ٩٧ ـ ١٣ . . .

من فهرس الأمم والقبائل والبطون والفرق :

وهى مرتبة أبجديا لهذه الأسماء ، وأماكن ورودها فى الكتاب ، ومنها :

آل إبراهيم . . .

الأنصار . . .

البرامكة . . .

بنو حنيفة . . .

الفرس . . .

قريش . . .

من فهرس الكتب :

وفيه يذكر اسم الكتاب واسم المؤلف ومكان وروده ، ومنها :

الأدب ـ للجاحظ ٣/ ٢٨ ـ ٩ .

الأدب الكبير ـ لابن المقفع ١ / ١٢ ـ ٢٠.
البداية والنهاية ـ لابن كثير . . . .
الخيل ـ للأصمعى . . . .
وفيات العيان ـ لابن خلكان . . . .

من فهرس الأشعار :

والترتيب هنا حسب قافية البيت مع ذكر اسم الشاعر ، ثم مكان الورود ومرتبة أبجديا ، ومنها :

الباب	القافية	الشاعر	الجزء	الصفحة
الهمزة	الحياء	أبو تمام	٢	٤١٤
الهمزة	اللقاء	حسان بن ثابت	٢	٣٦٢

من فهرس أنصاف الأبيات :

وهذه مرتبة أبجديا حسب صدر البيت ومثاله :

أحب شيء للإنسان ما منعا . . . للشاعر جرير بن الخطفى .
جـ٣ ص ١٤١ .

من فهرس الأرجاز :

ومنها فى حرف الباء أرجوزة ابن عبدربه التى أولها :

بالله نبدأ وبه التمام . . . وباسمه يفتتح الكلام .
جـ ٥ ص ٤٣ .

من فهرس الموضوعات نجد :

البخــــــلاء	جـ ٦	ص ١٧٤ .
البلـدان وتفـاضـلهـــا	جـ ٦	ص ٢٤٧ .
الخطابة والخطب والخطباء	جـ ٤	ص ٥٧ .
الخلفـــــاء	جـ ٤	ص ٢٤٩ .
الطـــــب	جـ ٦	ص ٢٧١ .
الولاية والعزل	جـ ١	ص ٨١ .

خـطـة الـعـرض :

ونعرض فى الصفحـات القادمـة لأجزاء هذا الكتـاب القيم بنفس الترتيب الـذى وضعـه المؤلف والمحققـون ، وندرج على نفس النهـج الذى سـار عليـه المؤلف فى انتخاب بعض الموضوعات ، وانتخـاب بعض الإنتاج الذى يعرض فى كل موضوع ، فهذا العمل هو اختيار من المختار.

وقـد راعيت فى هـذا الاختيـار الإيجاز غير المخـل عنـد عـرض الأفكـار الرئيسة للكتاب الأصلى ، وعرض عـدد قليل من الأمثلة الكثيرة التى يعرضها ، والخروج عن التكرار ، والتغـاضى عن غير المألوف فى أيامنا هـذه ، والبعد عن بعض الموضوعات التى رأيت أنها لا تناسب هذا المختصر، ومنها مثلا كثير من صفات النسـاء ومـا كتبه الشـعراء فى وصفهن وحـسنهن ، ومنهـا أيضا فصل كامـل عن النبيذ وما قيل فيه ، بـل وآراء الفقـهاء التى تحـرم النبيذ وآراء فقهاء آخـرين تحلل النبيـذ على أنـه ليس خمرا . ويعـرض الكتـاب آراء كل فـريق باستفاضة مع حججه وأسانيده وبراهينه . ومن أسماء هؤلاء الفقهاء أسماء ذات وزن كبير وقيمة عظيمة فى كتب الفقه نجدها تناقش هذه الأمور ، وتدافع عن

وجهة نظرها بكل حرية ، والأخـرى تدافع عن نظرها بكل تفتح للذهن وقبول للمناقشات الواعية الهادئة البعيدة عن التشنج وتوزيع الاتهامات .

وأتساءل عن مناخ الحريـة هذا الذى كـان سـائدا فى القرن الثالث الهجرى وما قبلـه ، عندما وضع المؤلف هـذا الكتاب . كما أتساءل عن منـاخ الاعتدال والتوســط والسمـو الـذى سـاد بـلادنـا فى أواسط القـرن الحالى عنـدمـا طبع الكتـاب أكثر من عشر طبعـات مختلفـة ، وكان ينشر ويـوزع ويقـرؤه العامـة والخاصة .

ولعلى أصل إلى الغاية الأساسيـة من هذا العمل ، وهى البحث عن الذات وتأكيد الهويـه وترسيخ الجذور والتنقيب فى داخلنا من أجل غـد أفضل تسمو فيه أرواحنـا ، ونتعالى فيـه عن صغائر الأمـور، ونركز على نقـاط القوة الكـامنة والمتأصلة فى داخلنا والمترسبة فى وجداننا . .

القاهرة ـ يناير ١٩٩٥ .

دكتور / ناصر الأنصارى

-١-

كتاب اللؤلوة في السلطان

عن حاجة العمران إلى السلطان يقول المؤلف :

السلطان زمام الأمور، ونظام الحقوق ، وقوام الحدود ، والقطب الذى عليه مدار الدنيا . وهو حمى الله فى بلاده ، وظله الممدود على عباده ، به يمتنع حريمهم، وينتصر مظلومهم، وينقمع ظالمهم، ويأمن خائفهم .

ويستشهد بآية قرآنية عن صفات السلطان :

﴿ الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور ﴾ (٢) .

ويستشهد بهذا الحديث النبوى : « عدل ساعة فى حكومة ، خير من عبادة ستين سنة » .

وحديث نبوى آخر : « كلكم راع وكل راع مسئول عن رعيته» .

---

(١) اللؤلؤ : مادة تفرزها بعض الرخويات المحارية فى شكل حبات ذات بنيان صلد أملس براق ، أحسنها الأبيض الناصع ، والأسود منها نادر. يستخرج من مياه اليابان والخليج العربى . واحدته اللؤلوة .

(٢) الحج : ٤١ .

ويعرض بعد ذلك للزوم طاعة السلطان :

وبيدأ بالآية الكريمة : ﴿ **يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم** ﴾[1].

وعن المشورة :

- يذكر الحديث النبوى « ماندم من استشار ، ولا خاب من استخار » .

وأمر الله للنبى بالمشاورة مع من هو دونه فى الرأى فى الآية الكريمة : ﴿**وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله** ﴾[2].

- ومن الأمثلة التى يضربها المؤلف في المشورة والحزم : قيل لرجل من عَبس : ما أكثر صوابكم ! قال : نحن ألف رجل ، وفينا حازم واحد ، فنحن نشاوره، فكأنا ألف حازم .

- ثم يورد بيتين من الشعر فى نفس الموضوع :

الرأى كالليل مُسودّ جوانبه   والليل لا ينجلى إلا بإصباح

فاضمم مصابيح آراء الرجال إلى   مصباح رأيك تزدد ضوء مصباح

- وكان يقال : لا تشاور صاحب حاجة يريد قضاءها .

وتحت عنوان حفظ الأسرار :

- قول الحكماء : صدرك أوسع لسرك من صدر غيرك .

- قول الحكماء أيضا : ماكنت كاتمه من عدوك فلاتطلع عليه صديقك .

- وقول عمرو بن العاص : ما استودعت رجلاً سرا فأفشاه فلمته ، لأنى كنت أضيق صدرا منه حين استودعته إياه حتى أفشاه .

---

(١) النساء : ٥٩ .   (٢) آل عمران : ١٥٩ .

ـ وقال الشاعر :

إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه　　فصدر الذى يستودع السر أضيق

وعن الإذن :

ـ حديث النبى فى الاستئذان : الاستئذان ثلاث ، فإن أذن لك وإلا فارجع .

ـ ورواية عن سعيد بن عتبة بن حصين : أنه كان إذا حضر باب أحد من السلاطين جلس جانبا ، فقيل له : إنك لتباعد من الآذن جهدك . قال : لأن أدعى من بعيد خير من أن أقصى من قريب .

وعن القضاة :

ـ قول عمر بن عبدالعزيز : إذا كان فى القاضى خمس خصال ، فقد كَمُل : علم بما كان قبله ، ونزاهة عن الطمع ، وحلم على الخصم ، واقتداء بالأئمة ، ومشاورة أهل العلم والرأى .

ـ وقول عمر بن عبدالعزيز أيضا : إذا أتاك الخصم وقد فقئت عينه ، فلا تحكم له حتى يأتى خصمه فلعله قد فقئت عيناه جميعا .

ـ ومن الأمثلة التى يضربها لترك الأخذ بالظواهر عند الحكم ، ما قاله الشعبى : كنت عند شريح القاضى ، إذ دخلت عليه امرأة تشتكى زوجها وهو غائب وتبكى بكاء شديدا . فقلت أصلحك الله ما أراها إلا مظلومة . قال : وما علمك؟ قلت : لبكائها . قال : لا تفعل ، فإن أخوة يوسف جاءوا أباهم عشاء يبكون ، وهم له ظالمون .

ومن موضوعات هذا الكتاب أيضا :

ـ حسن السياسة وإقامة المملكة .

- بسط العدالــة ورد المظالــم .
- صلاح الرعية بصـلاح الإمــام .
- قولهم فى الملك وجلسائه ووزرائـه .
- صفــة الإمــام الـعــادل .
- هيبة الإمــام فـى تواضعــه .
- حسن السيرة والـرفـق بالرعية .
- ما يأخذ به السلطان من الحزم والعزم .
- التعرض للسلطان والرد عليه .
- تحلم السلطان على أهل الدين والفضل إذا اجترءوا عليه .

* * *

- ٢ -
كتاب الفريدة في الحروب

عن صفة الحروب :

ـ الحرب رحّى، ثفالها [٢] الصبر ، وقطبها المكر، ومدادها الاجتهاد وثقافتها الأناة، وزمامها الحذر . ولكل شيء من هذه ثمرة، فثمرة الصبر التأييد، وثمرة المكر الظفر، وثمرة الاجتهاد التوفيق ، وثمرة الأناه اليُمن ، وثمرة الحذر السلامة . ولكل مقام مقال، ولكل زمان رجال ، والحرب بين الناس سجال، والرأى فيها أبلغ من القتال .

ـ قال عمر بن الخطاب لعمرو بن معد يكرب : صف لنا الحرب . قال : مرة المذاق، إذا كشفت عن ساق . من صَبَرَ فيها عرف، ومن نكل عنها تلف . ثم أنشأ يقول :

---

(١) الفريد : هو الحَبّ من فضة وغيرها، يفصل بين حبات الذهب واللؤلؤ فى العقد . وواحدته الفريدة

(٢) الثِّفَال : جلد أونحوه يوضع تحت الرحى، يقع عليه الدقيق .

الحــرب أول مــا تكــون فـتيـــــة   تسـعـى بزينتهــا لكـل جهــول
حتى إذا حميت وشب ضرامهــــا   عــادت عجوزاغير ذات خليــــل
شمطاء جـزت رأسهـا وتنكـرت   مكـــروهـــة للشـــم والـتقبيـــــل

ـ وقيل لعنترة الفوارس: صف لنا الحرب. فقـال: أولها شكوى، وأوسطهـا نجوى، وآخرها بلوى.

الصبر والإقدام فى الحرب:

ـ يقـول المؤلف: جمع اللـه تبـارك وتعالى تـدبير الحرب كلهـا فى آيتين، فقـال تعالـى: ﴿ **يأيها الـذين أمنوا إذا لقيتم فئـة فاثبتـوا واذكروا اللـه كثيرا لعلكـم تفلحون * وأطيعوا الله ورسولـه ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين** ﴾ (1).

ـ وقـول أبى بكر لخالـد بن الوليد: احـرص على الموت تـوهب لك الحيــاة ـ قالت الحكماء: استقبال الموت خير من استدباره.

ويورد كثيرا من الشعر فى الشجاعة فى الحرب، منها هذا البيت:

وإنّا لتستحلى المنايا نفوسنا   ونترك أخـــرى مُـرة مـا نذوقهـــا

المكيدة فى الحرب:

ـ حديث النبى: الحرب خدعة.

ـ ثم يروى من كتاب للهند: الحازم يحذر عدوه على كل حال؛ يحذر المواثبة إن قرب، والغارة إن بعد، والكمين إن انكشف، والاستطـراد إن ولى.

---

(1) الأنفال: ٤٥، ٤٦.

وصايا أمراء الجيوش :

ـ هى كثيرة ومتعددة وطويلة ، نورد منها :

ـ جزء من وصية عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبى وقاص :

. . . وليكن منك عند دنوك من أرض العدو أن تكثر الطلائع ، وتبث السرايا بينك وبينهم . فتقطع السرايا أمدادهم ومرافقهم ، وتتبع الطلائع عوراتهم . وانتق للطلائع أهل الرأى والبأس من أصحابك ، وتخير لهم سوابق الخيل . . .

ومن موضوعات هذا الكتاب أيضا :

ـ المحاماة عن العشيرة ومنع المستجير .
ـ الجبن والفرار .
ـ فضائل الخيل .
ـ صفة أجياد الخيل .
ـ سوابق الخيل .
ـ الحلبة والرهان .
ـ وصف السلاح .
ـ النزع بالقوس .
ـ مشاورة المهدى لأهل بيته فى حرب خراسان .

فى مداراة العدو :

ـ قال أحمد بن يوسف الكاتب : « إذا لم تقدر أن تعض يد عدوك فقبلها » .

التحفظ من العدو إن أبدى لك المودة :

ـ كلام الحكماء فى التحـذير من الموتورين والأعداء : احـذر الموتور ولا تطمئن إليـه . وكن أشـد ما تكـون حـذرا منـه ألطف مـا يكون بـداخلـه لك ؛ فإنما السلامة من العدو بتباعدك منه ، وانقباضك عنه ، وعن الأنس إليه ، والثقة به تمكنه من مقاتلك .

ومن كتاب للهند فى التحذير من العدو :

ـ الحازم يحذر عـدوه على كل حال ، يحذر المواثبة إن قرب ، والمعـاودة إن بعد ، والكمين إن انكشف ، والاستطراد إن ولى ، والكرّة إن فر .

* * *

-٣-
كتاب الزبرجدة
في
الأجواد والأصفياء

ـ حديث النبى : « إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه» .

ـ وقوله : « أنفق بلال ولاتخش من ذى العرش إقلالا» .

فى مدح الكرم وذم البخل :

ـ حديث النبى : ـ « إن الله يحب الجود ومكارم الأخلاق » .

ـ وفى الكتاب الآية الكريمة : ﴿ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾[2] .

ـ وكان سعيد بن العاص يقول على المنبر : من رزقه الله رزقا حسنا ، فلينفق منه سرًّا وجهرا ، حتى يكون أسعد الناس به ؛ فإنما يترك ما يترك لأحد رجلين : إما لمصلح فلا يقل عليه شىء ، وإما لمفسد فلا يبقى له شىء .

---

(١) الزبرجد : حجر كريم يشبه الزمرد ، وهو ذو ألوان كثيرة أشهرها الأخضر المصرى والأصفر القبرصى . واحدته زبرجدة .

(٢) الحشر : ٩ ، التغابن : ١٦ .

الجـود مع الإقــلال :

ــ قالت الحكماء : القليل من القليل أحمد من الكثير من الكثير. وقـولهم : جهد المقل أفضل من غنى المكثر .

العطيــة قبل السؤال :

ــ من قـول الحكماء : السخى من كـان مسرورا ببـذله ، متبرعـا بعطـائه ، لايلتمس عرض الدنيا فيحبط عمله ، ولا طلب مكافأة فيسقط شكره . . .

استنجاز المواعيـد :

ـ أنجز حر ما وعد .

ـ وعد الكريم نقد ، ووعد اللئيم تسويف .

ـ الوعد السحابة والإنجاز المطر .

ـ شعر لابن أبى حازم :

إذا قلــت فى شىء « نعم » فــأتمه ... فإن «نعــم» دين على الحر واجب

وإلا فقل « لا» تسترح وتــرح بهــا ... لئـلا يقــول النـاس إنـك كـاذب

ـ ومن كتاب الله : ﴿ **يأيها الذين آمنوا لم تقولـون مالا تفعلون * كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون** ﴾ [1] . .

شكر النعمـــــة :

ـ إن الله أنعم على عباده بقدر قدرته وكلفهم من الشكر بقدر طاقتهم .

ـ مكتوب فى التوراة : اشكر لمن أنعم عليك ، وانعم على من شكرك .

---

(١) الصف : ٢ ، ٣.

- كفر النعمة يوجب زوالها ، وشكرها يوجب المزيد فيها .
- من حمدك فقد وفاك حق نعمتك .

ومن موضوعات هذا الكتاب أيضا :

- قلة الكرام فى كثرة اللئام .
- من جاد أولا وضن آخرا .
- من ضن أولا ثم جاد آخرا .
- من مدح أميرا فخيب .
- أجواد أهل الجاهلية .
- أجواد أهل الإسلام .

* * *

-٤-
كتاب الجمانة في الوفود

يعدد هذا الكتاب الوفود التى أحصاها ووفدت على النبى وعلى الخلفاء وعلى الملوك، لأنها مقالات فضل ومشاهد حفل، يتخير لها الكلام وتستهذب الألفاظ وتستجزل المعانى، ولابد للوافد عن قومه أن يكون عميدهم وزعيمهم الذى عن قوته ينزعون، وعن رأيه يصدرون؛ فهو واحد يعدل قبيلته، ولسان يعرب عن ألسنة.

ومن هذه الوفود :

- وفود كسرى على العرب .
- وفود حاجب بن زرارة على كسرى .
- وفود أبى سفيان إلى كسرى .
- وفود تومين على سيف بن ذى يزن بعد قتله الحبشة .

(١) الجمان : حبٌّ يصاغ من الفضة على شكل اللؤلؤ . واحدته جمانة .

- وفود عبد المسيح على سطيح .
- وفود همدان على النبى .
- وفود النخع على النبى .
- وفود ثقيف على النبى .
- وفود مذحج على النبى .
- وفود لقيط بن عامر بن المنتفق على النبى .
- وفود قيلة على النبى .
- وغيره كثير . .

* * *

-٥-

كتاب المرجانة في مخاطبة الملوك

يقول الكاتب : إن الكلام قد جعله الله تعالى بينه وبين خلقه وسيلة نافعة وشافعا مقبولا ، قال تبارك وتعالى : ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم ﴾ [٢] .

البيان : ماهية البيان :

- كل شيء كَشَف لك قناع المعنى الخفى حتى يتأدى إلى الفهم ويتقبله العقل ، فذلك البيان الذى ذكره الله عز وجل فى كتابه ، ومَنَّ به على عباده ، فقال تعالى : ﴿ الرحمن * علم القرآن * خلق الإنسان * علمه البيان ﴾ [٣] .

- وقال صلى الله عليه وسلم : - « إن من البيان لسحرا » .

- وقالت العرب « أنفذ من الرمية كلمة فصيحة » .

- وقال سهل بن هارون : « العقل رائد الروح ، والعلم رائد العقل ، والبيان ترجمان العلم » .

---

(١)المرجان : جنس حيوانات بحرية من طائفة المرجانيات ، لها هيكل وكلس أحمر يعد من الأحجار الكريمة ، ويكثر فى البحر الأحمر. واحدته المرجانة .

(٢) البقرة : ٣٧ . (٣) الرحمن : ١ - ٤

تبجيل الملوك وتعظيمهم :

ـ قال النبى : ـ « إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه » .

وقال يحيى بن خالد بن برمك : مساءلة الملوك عن حالها من سجية النَّوكى[1] . فإذا أردت أن تقول : كيف أصبح الأمير ؟ فقل : صبح الله الأمير بالنعمة والكرامة . وإذا كان عليلاً فأردت أن تسأله عن حاله ، فقل : أنزل الله على الأمير الشفاء والرحمة : فإن الملوك لا تسأل ولا تشمت ولا تكيف وأنشد :

إن الملوك لا يخاطبونا ... ولا إذا ملوا يعاتبونا
وفى المقال لا ينازعونا ... وفى العُطاس لا يشمتونا
وفى الخطاب لا يكيفونا ... يثنى عليهم ويبجلونا
فافهم وصاتى لا تكن مجنونا

قبلة اليد :

ـ ذكر عبدالرحمن بن أبى ليلى عن عبدالله عن عمر رضى الله عنهما ، قال : كنا نقبل يد النبى صلى الله عليه وسلم .

ـ وروى : رأيت رجلا دخل على علىّ بن الحسين فى المسجد ، فقبل يده ووضعها على عينه ، فلم ينهه .

ـ قال الشعبى : ركب زيد بن ثابت فأخذ عبدالله بن عباس بركابه ، فقال له : لا تفعل يابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا . فقال له زيد : أرنى يدك . فأخرج إليه يده ، فأخذها وقبلها ، وقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا .

---

(١) النَّوكى : الأحمق .

ـ كما يذكر من كره من الملوك تقبيل اليد ، ومنهم هشام بن عبدالملك .

حسن التوفيق فى مخاطبة الملوك :

ـ قال هارون الرشيد لمعن بن زائدة : كيف زمانك يا معن ؟ قال : يا أمير المؤمنين أنت الزمان ؛ فإن صلحت ، صلح الزمان ، وإن فسدت فسد الزمان .

التنصل والاعتذار :

ـ قال النبى صلى الله عليه وسلم : « من لم يقبل من متنصل عذرا صادقا كان أو كاذبا لم يرد على الحوض » .

ـ واعتذر رجل إلى جعفر بن يحيى ، فقال : « قد أغناك الله بالعذر عن الاعتذار وأغنانا بحسن النية عن سوء الظن » .

ـ وقال شاعر :

اقبل معاذير من يأتيك معتذرا إن برّ عندك فيما قال أو فجرا

ـ وقال آخر :

إذا اعتذر الجانى محا العذر ذنبه وكل امرئ لا يقبل العذر مذنب

فضيلة العفو والترغيب فيه :

ـ كان للمأمون خادم وهو صاحب وضوئه فبينما هو يصب الماء على يديه إذ سقط الاناء من يده ، فاغتاظ المأمون عليه ، فقال : يا أمير المؤمنين إن الله يقول : ﴿ والكاظمين الغيظ ﴾ .[1] قال : قد كظمت غيظى عنك . قال : ﴿ والعافين عن الناس ﴾ .[2] قال : قد عفوت عنك . قال : ﴿والله يحب المحسنين ﴾ .[3] قال : اذهب فأنت حر .

---

(١)، (٢) ، (٣) آل عمران : ١٣٤ .

ـ وقال الأحنف بن قيس : أحق الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة .

ـ وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « أقرب ما يكون العبد من غضب الله إذا غضب » .

بُعد الهمة وشرف النفس :

بين الأوس والخزرج وبين تُبّع فى الجاهلية :

ومن أعز الناس نفسا وأشرفهم هما الأنصار، وهم الأوس والخزرج (ابنا قَيْلة) لم يؤدوا إتاوة قط فى الجاهلية إلى الملوك ، وكتب إليهم تُبّع يدعوهم إلى طاعته ويتوعدهم إن لم يفعلوا أن يغزوهم . فكتبوا إليه :

العبد تُبّع كم يروم قتالنا ومكانه بالمنزل المتذلل

إنا أناس لاينام بأرضنا [1] عض الرسول ببظر أم المرسل

فغزاهم تُبّع أبو كرب ، فكانوا يقاتلونه نهارا ويخرجون له القرى[2] ليلا فتذمم من قتالهم ورحل عنهم .

* * *

---

(١) لا ينام بأرضنا ، أى لايقر لعدونا قرار بيننا ، ولا يغمض له جفن من الخوف .

(٢) فإذا جاء الليل أخرجوا له العشاء ، فقال تبع أبو كرب : ما خلق الله قوما أكرم من هؤلاء . ورحل عنهم .

-٦-
كتاب الياقوتة[1] في العلم والأدب

الحض على طلب العلم :

ـ قال النبى صلى الله عليه وسلم : « لا يـزال الرجل عالما ما طلب العلم ، فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل » .

ـ وقـال داود لابنـه سليمان عليهما السـلام : اجعل العلم مـالك والأدب حليتك .

ـ وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : قيمة كل إنسان ما يحسن .

ـ وقال شاعر عن الكتاب :

نعم الأنيس إذا خلـوت الكتـاب   تلهـو بـه إن خـانك الأحـباب

لا مفشيـا سرا إذا استـودعتـه   وتفـاد منـه حكمة وصـواب

---

(١) الياقوت : حجر كريم صلب رزين شفاف ، يكون غالبا مشربا بالحمرة ، وأحيانا بالزرقة أو الصفرة . وهو يعد أكثر المعادن صلابة بعد الماس .

ـ وقال عبدالله بن عباس رضـى الله عنهما : منهومان لا يشبعان : طالب علم وطالب دنيا .

شرائط العلم وما يصلح له :

ـ قالوا : لا يكون العالم عـالما حتى تكون فيه ثلاث خصال : لا يحتقر من دونه ، ولا يحسد من فوقه ، ولا يأخذ على العلم ثمنا .

حفظ العلـم واستعمالـه :

ـ قال عبدالله بن مسعود : تعلموا ، فإذا علمتم فاعملوا .

ـ قيل : الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب ، وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان .

تحامل الجاهل على العالـم :

ـ قال النبى صلى الله عليه وسلم : « ويل لعالم أمرٍ من جاهله » .

ـ وقالوا : لا تناظر جاهلاً .

ومن موضوعات هذا الباب أيضا :

ـ فضيلة العلم .

ـ ضبط العلم والتثبيت فيه .

ـ انتحال العلم .

ـ رفع العلم وقولهم فيه .

ـ تبجيل العلماء وتعظيمهم .

ـ عويص المسائل .

ـ من أخبار العلماء والأدباء .

وفى العقل جاء :

ـ قيل لعمرو بن العاص : ما العقل ؟ فقال : الإصابة بالظن ، ومعرفة مايكون بها قد كان .

ـ ومن شعر لمحمد بن عبدالله بن طاهر فى فضل العقل :

لعمرك ما بالعقل يكتسب الغنى   ولا باكتساب المال يكتسب العقل
وكم من قليل المال يحمد فضله   وآخر ذى مال وليس له فضل

ـ وهذا البيت لمحمد بن مناذر :

وترى الناس كثيرا فإذا   عُدّ أهلُ العقل قلوا فى العدد

ـ وقول النبى صلى الله عليه وسلم : « ماخلق الله خلقا أحب إليه من العقل» .

ـ ومن الأقوال غير المنسوبة : عدو عاقل أحب إلىّ من صديق جاهل .

الحكمة :

قيل : إذا وجدتم الحكمة مطروحة على السكة فخذوها .

البلاغة وصفاتها :

ـ سئل بعضهم عن البلاغة ، فقال : إيجاز الكلام ، وحذف الفضول ، وتقريب البعيد .

ـ وقال معاوية لصحار العبدى : ما البلاغة ؟ قال : أن تجيب فلا تبطئ وتصيب فلا تخطئ .

ـ وسمع خالد بن صفوان رجـلاً يتكلم ويكثر، فقال : اعلم رحمك الله أن البلاغة ليست بخفة اللسان وكثرة الهذيـان ، ولكنها بإصابة المعنى والقصد إلى الحجة .

ـ وقال جعفر بن محمد عليه السـلام : سمى البليغ بليغا لأنه يبلغ حاجته بأهون سعيه .

ـ وللشاعر :

خـــير الكـــــلام قلـــــيل علــــى كثير دلــــــيل

ـ مـــن وجـــوه البلاغـة قـولهم : لكل مقام مقال ، ولكل كـلام جواب ، ورب إشارة أبلغ من لفظ .

باب الحلـم ودفع السيئة بالحسنة :

صفــة الحلــم ومــــا يصلـح له :

ـ قيل لقيس بن عاصم : مـاالحلم ؟ قال : أن تصل من قطعك، وتعطى من حرمك، وتعفو عمن ظلمك .

ـ وقال لقمان الحكيم : ثلاثة لا تعـرفهم إلا فى ثلاثة : لا تعرف الحليم إلا عند الغضـب، ولا الشجاع إلا عند الحـرب ولا تعرف أخـاك إلا إذا احتجت إليه .

ـــ وفى الحــــديث الشـريف : « أقـرب مـا يكون المرء من غضب اللـه إذا غضب» .

طبقات الرجال :

ـ قيـل : الـرجال ثلاثة : فـرجل كالغذاء لا يستغنى عنه، ورجـل كالدواء لايحتاج إليه إلا حينا بعد حين، ورجل كالداء لا يحتاج إليه أبدا .

ـ وقال الخليل بن أحمد : الرجال أربعـة : فرجل يدرى ويدرى أنه يدرى، فذلك عالم فسلوه؛ ورجل يدرى ولا يدرى أنه يدرى، فذلك الناسى فذكروه؛ ورجل لايدرى ويـدرى أنه لايـدرى، فذلك الجاهل فعلمـوه؛ ورجل لايدرى ولايدرى أنه لايدرى؛ فذلك الأحمق فارفضوه .

ـ وقـال على بن أبى طالب رضى اللـه عنه : الناس ثـلاثة : عـالم ربّانى، ومتعلـم على سبيل نجاة، ورعاع همج يميلون مع كل ميل .

الغوغاء :

ـ غوغاء هى الدَّبَى، وهى صغار الجراد، وشبه بها سواد الناس .

ـ وذكر الغوغاء عند عبدالله بن عباس فقال : ما اجتمعوا قط إلا ضروا ولا افترقوا إلا نفعوا .

ـ وقيل له قد علمنا ضر اجتماعهم فما نفع افتراقهم ؟ قال : يذهب الحجام إلى دكانه، والحداد إلى أكياره ، وكل صانع إلى صناعته .

الثقلاء :

ـ قال سهل بن هارون : من ثقل عليك بنفسه، وغمك بسؤاله، فأعره أذنا صماء وعينا عمياء .

ـ وكان أبو هريرة إذا استثقل رجلا قال : اللهم اغفر له وأرحنا منه .

ـ ويقول الشاعر :

أنـت يا هـــذا ثـقيـــــل ... وثـقـــيـل وثـقــــــيـل

أنت فى المنظــر إنســـان ... فـــى المـيزان فـيـــل

التفاؤل بالأسماء :

ـ سأل عمر بن الخطاب رضى اللـه عنه رجلا أراد أن يستعين به على عمل عن اسمه واسم أبيه ، فقال : ظالم بن سراقة . فقال : تظلم أنت ويسرق أبوك ؟ ولم يستعن به فى شىء .

ــ ومن تفاؤل النبى صلى اللـه عليـه وسلم بالأسماء أنـه قـابل أنصاريـا فى المدينة كان له غلامان : سالم ويسار. فقال الرسول : سلمت لنا الدار يسر .

ـ ويقـال إن العرب تطيرت [1] من الغراب للغـربة ، إذ كان اسمـه مشتقا منها .

الإخوان وأصنافهم :

معاتبة الصديق واستبقاء مودته :

ـ قـالت الحكماء : مما يجب للصـديق على الصديق : الإغضـاء عن زلاته ، والتجاوز عن سيئاته . . .

ــ وقال على رضى اللـه عنه : لا تقطع أخـاك على ارتياب ، ولاتجهـره دون استعتاب .

مما يستجلب الإخاء والمودة ولين الكلمة :

ـ قال على رضى الله عنه : من لانت كلمته وجبت محبته . وأنشد :

كيف أصبحت كيف أمسيت ... مما ينبت الود فى فؤاد الكريم

---

(١) تشاءمت .

ـ وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : ثلاث تثبت لك الود فى صدر أخيك : أن تبدأه بالسلام، وتوسع له فى المجلس، وتدعوه بأحب الأسماء إليه .

ـ ولعدى بن زيد :

عن المرء لا تسل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى

ـ التحبب إلى الناس .

ـ صفة المحبة .

مواصلتك لمن كان يواصل أباك :

ـ قال عبدالله بن مسعود : من بر الحى بالميت أن يصل من كان يصل أباه .

الحسد :

ـ يقال : الحسد أول ذنب عصى الله به فى السماء، وأول ذنب عصى الله به فى الأرض. فأما فى السماء فحسد إبليس لآدم ، وأما فى الأرض فحسد قابيل لهابيل .

ـ وقال سليمان التمينى : الحسد يضعف اليقين، ويُسهر العين، ويكثر الهم .

ـ وقيل : إذا سرك أن تسلم من الحسد فغم عليه أمرك .

ـ ولبعض الشعراء فى الصبر على حسد الحسود :

اصبر على حسد الحسو د فإن صبرك قاتله

النار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله

باب فى الكبر :

ـ قال النبى صلى اللـه عليه وسلم : يقـول الله تبـارك وتعالى : العظمـة إزارى، والكبرياء ردائى ؛ فمن نازعنى واحدا منهما قصمته وأهنته .

ـ وقال يحيى بن حيـان : الشريف إذا تقوى تـواضع، والوضيع إذا تقـوى تكبر.

ـ وقـال سعـد بن أبى وقـاص لابنـه : يـابنى : إيـاك والكبر، وليكن فيما تستعين بـه على تركـه علمك بالـذى منه كنت وإليـه تصير ، وكيف الكبر مع النطفة التى منها خلقت والرحم التى منها قذفت والغذاء الذى به غذيت .

التسامح مع النعمة والذلل مع المصيبة :

ـ قالوا من أبطره الغنى أذله الفقر .

ما جاء فى ذم الحمق والجهل :

ـ قـال أبو الـدرداء : علامـة الجاهل ثلاث : العُجب، وكثـرة المنطق، وأن ينهى عن شىء ويأتيه .

ـ وقيل : خصلتان تقربانك من الأحمق : كثرة الالتفات وسرعة الجواب .

ـ وقيل : لاتصحب الجاهل، فإنه يريد أن ينفعك فيضرك .

باب فى التواضع :

ـ قال النبى صلى الله عليه وسلم : « من تواضع لله رفعه » .

ـ وقالت الحكماء : كل نعمة يحسد عليها إلا التواضع .

ـ وسئل الحسن عن التواضع ، فقال : هو أن تخرج من بيتك فلا تلقى أحدا إلا رأيت له الفضل عليك .

باب فى الحياء :

ـ قـال النبى صلى الله عليه وسلـم : « الحياء خير كله . الحيـاء شعبة من الإيـمان » .

ـ وقـال عليه السلام : « إن الله تبـارك وتعالى يحب الحيى الحليم المتعفف ، ويكره البذىء السائل الملحف » .

ـ ومكتوب فى التوراة : إذا لم تستح فاصنع ما شئت .

باب جامع الآداب :

ـ يقول المؤلف : أول مـا نبدأ به أدب النبى صلى الله عليـه وسلم، ثم أدبه لأمته ، ثم الحكماء والعلماء ، وقـد أدب الله نبيه بأحسن الآداب كلها ، فقال له ﴿ ولاتجعل يـدك مغلـولـة إلى عنقك ولا تبسطهـا كل البسط فتقعـد ملـومـا محسورا﴾ .[1] فنهاه عن التقتير كما نهاه عن التبذيـر وأمره بتوسط الحالين . كما قال عز وجل :

﴿ والذيـن إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكـان بين ذلك قـواما ﴾ .[2] وقد جمع الله تبـارك وتعالى لنبيـه جوامع الكلم فى كتـابه المحكم ، ونظم لـه مكارم الأخلاق كلها فى ثلاث كلمات منه ، فقال :

﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعـرض عن الجاهليـن ﴾ .[3]

---

(١) الإسراء : ٢٩ . (٢) الفرقان : ٦٧ .

(٣) الأعراف : ١٩٩ .

﴿ واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ﴾ [1] .

﴿ ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾ [2] .

باب آداب النبى صلى الله عليه وسلم لأمته :

ـ قال النبى ﷺ : « أوصانى ربى بتسع ، وأنا أوصيكم بها . . أوصانى بالإخلاص فى السر والعلانية ، والعدل فى الرضا والغضب ، والقصد فى الغنى والفقر ، وأن أعفو عمن ظلمنى ، وأعطى من حرمنى ، وأصل من قطعنى ، وأن يكون صمتى فكرا ، ونطقى ذكرا ، ونظرى عبرا » .

ـ وقال صلى الله عليه وسلم : « نهيتكم عن قيل وقال ، وإضاعة المال ، وكثرة السؤال » .

باب فى آداب الحكماء والعلماء :

فى فضيلة الأدب :

ـ أوصى بعض الحكماء بنيه فقال : الأدب أكرم الجواهر طبيعة ، وأنفسها قيمة ، يرفع الأحساب الوضيعة ، ويفيد الرغائب الجليلة ، ويعز بلا عشيرة ، ويكثر الأنصار بغير رزية . فالبسوه حلة وتزينوه حلية ، يؤنسكم فى الوحشة ، ويجمع له القلوب المختلفة .

الأدب فى الحديث والاستماع :

ـ قالت الحكماء : رأس الأدب كله حسن الفهم والتفهم ، والإصغاء للمتكلم .

---

(١) الشعراء : ٢١٥ .   (٢) آل عمران : ١٥٩ .

ـ وقــال بعض الحكماء لابنه : يـابنى تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الحديث . وليعلم الناس أنك أحرص على أن تسمع منك على أن تقول . . .

ـ وقالوا : من حسن الأدب ألا تغالب أحـدا على كلامه ، وإذا سئل غيرك فلا تجب عنه ، وإذا حدث بحديث فلا تنـازعه إياه ، ولا تقتحم عليه فيه ، ولا تريه أنك تعلمه .

الأدب فى المجالسة :

ـ قـال إبراهيـم النخعى : إذا دخل أحـدكم بيتا ، فليجلس حيث أجلسه أهله .

ـ وقال سعيد بن العاص : ما مددت رجلى قط أمام جليس .

ـ وقال أيضا : لجليسى علىّ ثـلاث : إذا دنا رحبت به ، وإذا جلس وسعت له ، وإذا حدث أقبلت عليه .

باب فى تأديب الصغير :

ـ قالت الحكماء : من أدب ولده صغيرا سر به كبيرا .

ـ وقال ابن عبـاس : من لم يجلس فى الصغر حيث يكره ، لم يجلس فى الكبر حيث يحب .

ـ وقال الشاعر :

إذا المرء أعيته المـروءة ناشئـا   فمطلبهـا كهـلا عليه شـديد

باب فى التجارب والتأدب بالزمان :

ـ قالت الحكماء : كفى بالدهر مؤدبا وبالعقل مرشدا .

ـ وقال إبراهيم بن شكلة :

مـن لـم يـؤدبـه والـداه   أدبـه اللـيـل والـنـهـار

باب فى صحبة الأيام الموادعة :

ـ قال الشـاعر :

مـــن سابـق الــدهر كبا كبـــوة لم يستقلهــا من خطـا الدهــــــر
فاخط مع الدهـــر إذا ما خطـــا واجــر مـع الدهـــر ما يجـــرى

باب التحفظ من المقالة القبيحة وإن كانت باطلا:

ـ قالت الحكماء : إياك وما يعتذر منه

ـ قالوا : من عرض نفسه للتهم، فلا يأمن من إساءة الظـن .

ـ وقال أرسطـوطاليس للإسكندر : إن الناس إذا قدروا أن يقـولوا قدروا أن يفعلوا، فاحترس من أن يقولوا تسلـم من أين يفعلوا .

ـ وقال يعقوب الحمدونى :

وقـــد يرجى لجرح السيــــف برء لا بــــرء ما جـــرح اللســـــان

ومن أبواب هذا الكتاب أيضا :

ـ باب الأدب فى إصلاح المعيشة .
ـ باب الأدب فى المؤاكلــــة .
ـ أدب الملـــوك .
ـ باب الكنـايـــة والتـعـريض .
ـ الكناية يورى بها عن الكذب والكفر .
ـ الكناية عن الكذب فى طريق المـــدح .
ـ الكناية و التعريض فى طريق الدعابة .

باب فى الصمت :

ـ قال الشاعر :

الحلم زيـن والسكـوت سلامـة فـإذا نطقت فـلا تكن مكثـارا

ما إن ندمت على سكوتـى مرة لكن ندمت على الكلام مـرارا

ـ وجـاء فى الصمت والكـلام قولهم : الكـلام فى الخير كلـه أفضل من الصمت ، والصمت فى الشر كله أفضل من الكلام .

ـ وفى الفصاحة قالوا : ما رأيت على رجل أجمل من الفصاحة .

ـ باب فى الإعراب واللحـن .

ـ نـوادر الكلام .

ـ باب نوادر من النحـو .

ـ باب فى الغريب والتعقيب .

باب فى تكليف الرجل ما ليس من طبعه :

ـ قال الشاعر :

كل امرئ راجع يوما لشيمته وإن تخلّق أخلاقـا إلـى حـين

ـ باب فـى سـوء الأدب .

ـ باب فى الحركة والسكـون .

باب فى فضل المال :

ـ قال الله تعالى : ﴿ المال والبنون زينة الحياة الدنيـا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا ﴾[1] .

---

(١) الكهف : ٤٦ .

- صنوف المـــــال .

- تـدبير المـــــال .

الإقـلال :

- قال أرسطوطاليس : الغِنَى فى الغربة وطن، والمُقِل فى أهله غريب .

- وأخذه الشاعر فقال :

لعمرك مـا الغريب بذى التنائى ولكـــــن المقـل هـــو الغـريب

إذا ما المـــرء أعـوز ضاق ذرعا بحـــاجــتــه وأبعـــده القـــريب

السؤال :

- قيل ســأل سائل بمسجد الكـوفة وقت الظهر فلم يعط شيئـا، فقال : «اللهم إنك بحاجتى عالم لا تُعلَّم . أنت الـذى لا يعوزك نائل، ولا يحفيك[1] سائل، ولايبلغ مـدحك قـائل . أسألك صبرا جميـلا ، وفـرجا قـريبـا ، ونصرا بالهدى، وقوة فيما تحب وترضى» . فتبادروا إليه يعطونه . . .

- وقال مسلم بن الوليد :

سل الناس إنى سائل الله وحده وصائن عرضى عن فلان وعن فُلِ[2]

- وقال عبيد بن الأبرص :

مـــن يســأل الناس يحرمــوه وســائـــل اللـــه لا يخـــيب

الشباب والصحة :

- قال أبـو عمرو بن العلاء : ما بكت العرب شيئا مـا بكت الشباب، وما بلغت به ما يستحقه .

---

(١) الإلحاف والإجهاد . (٢) يعـــنى فـــلان .

ـ وقال الأصمعي : أحسن أنماط الشعر المراثي والبكاء على الشباب .

ومن موضوعات هذا الكتاب :

ـ الخضاب .

ـ فضيلة الشيب .

ـ كبر السن .

* * *

-٧-
كتاب الجوهرة في الأمثال

يقول المؤلف عن الأمثال : هي وشي الكلام ، وجوهر اللفظ ، وحكى المعاني ، والتي تخيرتها العرب وقدمتها العجم ونطق بها في كل زمان وعلى كل لسان . فهي أبقى من الشعر وأشرف من الخطابة . لم يَسِر شيء مسيرها ولا عم عمومها حتى قيل : أسير من مثل .

ـ وقال الشاعر :

ما أنت إلا مثل سائر　　يعرفه الجاهل والخابر

ومن موضوعات هذا الكتاب :

ـ أمثال روتها العرب .

ـ مثل في الرياء .

---

(١) الجواهر : الجوهر من الأحجار كل ما يستخرج منه شيء ينتفع به ، وهو النفيس الذي تتخذ منه الفصوص ونحوها . واحدته جوهرة .

من ضرب به المثل من الناس :

ـ قالت العرب : أسخى من حاتم، وأشجع من ربيعة[1]، وأدهى من قيس ابن زهير، وأعز من كليب بن وائل، وأوفى من السموءل، وأذكى من إياس بن معاوية، وأسود من قيس بن عاصم، وأمنع من الحارث بن ظالم، وأبلغ من سحبان بن وائل، وأحلم من الأحنف بن قيس، وأصدق من أبى ذر الغفارى، وأكذب من مسيلمة الحنفي .

ما تمثلوا به من البهائم :

ـ قالوا : أشجع من أسد، وأجبن من الصافر، وأمضى من ليث، وأحذر من غراب، وأبصر من عقاب، وأزهى من غراب، وأسمع من فرس، وأنوم من فهد، وأعق من ضب . . . .

ما ضرب به المثل من غير الحيوان :

ـ قالوا : أهدى من النجم، وأصبح من الصبح، وأسمح من البحر، وأنور من النهار، وأمضى من السيل . . .

ثم يورد أمثلة العرب فى عناوين كثيرة منها :

ـ فى حفظ اللسان .

ـ إكثار الكلام وما يتقى منه .

ـ القصد فى المدح .

ـ صدق الحديث .

ـ من أصدق مرة وأخطأ مرة .

---

(١) ربيعة بن مكدم فارس كنانة .

- سوء المسألة وسوء الإجابة .
- من صمت ثم نطق بالفكاهة .
- المعروف بالكذب يصدق مرة .
- المعروف بالصدق يكذب مرة .
- كتمان السر .
- انكشاف الأمر بعد اكتتامه .
- الحديث يتذكر به غيره .
- الاعتذار فى غير موضعه .
- التعريض بالكناية .
- الحمد قبل الاختبار .
- إنجاز الوعد .
- التحفظ من المقالة القبيحة .
- الدعاء بالخير .
- اللهو والباطل .
- خلف الوعد .

أمثال الرجال واختلاف نعوتهم :

كما يتحدث الكتاب عن الأمثال الشائعة فى :

- فى الرجل المبرز فى الفضل .
- فى الرجل النبيه الذكر .
- الرجل العزيز .
- الرجل الصعب .

- الأريب الـداهـية .
- الـرجـل العـالـم .
- الرجـل المجـرب .
- الرجـل يأخـذ حقه قسـرا .
- الانتقـال مـن ذل إلـى عـز .
- تـأديـب الكـبيـر .
- الأحـمـق .
- الواهن العزم الضعيـف الـرأى .

الأمثال فى القربى :

يورد الكتاب أمثالا عن :

- التعاطـف من ذوى الأرحـام .
- التحـنـن علـى الأقـارب .
- حماية القريب وإن كان مبغضا .
- إعجـاب الرجـل بأهـلـه .
- تشبـيه الرجـل بـأبيـه .
- تحـاسـد الأقـارب .
- قـولـهـم فـى الأولاد .
- الرجل يؤتى من حيث أمن : قالوا : من مأمنه يؤتى الحذر.

الأمثال فى مكارم الأخلاق :

ويورد أمثالا تحت عناوين عديدة منها :

- الحلم .

- العفو عند المقدرة .
- المساعد وترك الخلاف .
- مداراة الناس .
- مفاكهة الرجل أهله .
- اكتساب الحمد واجتناب الذم .
- الصبر على المصائب .
- الحض على الكرم .
- القناعة والدعة .
- الصبر على المكاره بحمد العواقب .
- الانتفاع بالمال .
- الحض على الكسب .
- الخبير بالأمر البصير به .
- من يوصى غيره وينسى نفسه .
- الأخذ فى الأمور بالاحتياط .
- الاستعداد للأمر قبل نزوله .
- مدافعة الرجل عن نفسه .
- حسن التدبير .
- الجد فى طلب الحاجة .
- التأنى فى الأمر .
- سوء الجوار .

- سوء المرافقة .
- الجشع والطمع .
- الشره للطعام .
- وضع الشيء في غير موضعه .
- الإساءة قبل الإحسان .
- البخل .
- الجبن .
- الجبان يتوعد بما لا يفعل .
- المقادير .
- الرجل يأتي إلى حتفه .
- الظلم .
- سوء معاشرة الناس .

* * *

-٨-
كتاب الزمرّدة[1] في المواعظ والزّهد

يقول المؤلف فى مقدمة هذا الكتاب :

قد مضى قولنا فى الأمثال ، وما تفننوا فيه على كل لسان ، ومع كل زمان . ونحن نبدأ بعون الله وتوفيقه بالقول فى الزهد ورجاله والمشهورين به ، ونذكر المنتخل من كلامهم ، والمواعظ التى وَعَظت بها الأنبياء واستخلصها الآباء للأبناء ، وجرت بين الحكماء والأدباء ومقامات العباد بين أيدى الخلفاء .

فأبلغ المواعظ كلها كلام الله تعالى الأعز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . قال الله تبارك وتعالى ﴿ ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ .[2] ثم مواعظ الأنبياء صلوات الله عليهم ، ثم مواعظ الآباء للأبناء ، ثم مواعظ الحكماء والأدباء ، ثم مقامات العبّاد بين أيدى الخلفاء ، ثم قولهم فى الزهد والرجال المعروفين به .

---

(١) الزمرد : حجر أخضر اللون شديد الخضرة شفاف وأشده خضرة أجوده وأصفاه . واحدته زمردة .

(٢) النحل : ١٢٥ .

والموعظــة ثقيلــة على السمع، محرجـــة على النفس، بعيــدة من القبــول لاعتراضــها الشــهوة ومضــادتها الهوى الــذى هو ربيــع القلب . ومراد الــروح ومـربع اللهـو ومسرح الأمـانى إلا مَن وَعَظَـهُ علمه وأرشـــده قلبـه وأحكمتـه تجربته .

ـ يقول الشاعر :

لن ترجع النفس عن غيها حتى يرى منها لها واعظ

ـ وقالـت الحكماء : الســعيد من وعظ بغيره، لا يعنون من وعظـه غيره، ولكن من رأى العبر فى غيره فاتعظ بها فى نفسه .

مواعظ الآباء للأبناء :

ـ قال لقمان لابنه : إذا أتيت مجلس قوم فارمهم بسهم السلام، ثم اجلس. فإن أفاضوا فى ذكر الله فـأجِلْ سهمك مع سهامهم، وإن أفاضوا فى غير ذلك فتخل عنهم وانهض .

ـ وقولـه أيضا : يا بنى لا تضحك من غير عجب، ولا تمش فى غير أدب، ولا تسأل عما لا يعنيك . . يـا بنى إن من يَـرحم يُــرحم، ومن يصمت يسلم، ومن يقُـل الخير يغنم ، ومن يقل البــاطل يأثــم، ومن لا يملك لسانه يندم .

ـ وكتب عمـر بن الخطاب الى ابنه عبـد الله : أما بعـد، فإن من اتقى الله وقـاه، ومن اتكل عليه كفـاه، ومن شكـر له زاده، ومن أقـرضه جـزاه، فاجعل التقوى عمارة قلبك وجلاء بصرك ، فإنه لا عمل لمن لا نية له، ولا خير لمن لا خشية له، ولا جديد لمن لا خُلق له .

كيف يكون الزهد :

ـ قال ابن السماك : ـ الزاهد الذى إن أصاب الدنيا لم يفرح ، وإن أصابته الدنيا لم يحزن ، يضحك فى الملا ويبكى فى الخلا .

صفة الدنيا :

ـ قال الشاعر :

يا خاطب الدنيا إلى نفسه تنح عن خطبتها تسلم

إن التى تخطب غرارة قريبة العرس من المأتم

ـ وأحكم بيت قيل فى تمثيل الدنيا قول الشاعر :

ومن يأمن الدنيا يكن مثل قابض على الماء خانته فروج الأصابع

ومن موضوعات هذا الكتاب أيضا :

ـ قولهم فى الخوف .
ـ قولهم فى الرجاء .
ـ قولهم فى التوبة .
ـ المبادرة بالعمل الصالح .
ـ العجز عن العمل .
ـ قولهم فى الموت .
ـ القناعة .
ـ الرضا بقضاء الله .
ـ العزلة عن الناس .
ـ الرياء .
ـ الدعاء وكيف يكون .

* * *

- ٩ -
كتاب الدرّة[1]
في
التعازى والمراثى

يقول المؤلف فى مقدمة هذا الكتاب : قد مضى قولنا فى الزهد ورجاله المشهورين ، ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى النوادب والمراثى والتعازى بأبلغ ما وجدناه من الفطر الذكية والألفاظ الشجية التى ترق القلوب القاسية ، وتذيب الدموع الجامدة مع اختلاف النوادب عند نزول المصائب . . .

وأبواب هذا الكتاب تبدأ بالقول عند الموت ، ثم الجزع من الموت ، ثم البكاء على الميت ، ثم القول عند المقابر وتأبين الموتى ، ثم ينتقل إلى المراثى وأشهرها ، وفيها أشعار كثيرة ومؤثرة فى جميع المواقف : رثاء الأب ، ورثاء الصديق ، ورثاء الزوجة ، ورثاء الجارية ، ومراثى الأشراف .

ثم ينتقل الكاتب إلى التعازى ويذكر أشهرها .

* * *

---

(١) الدر : هو اللؤلؤ العظيم الكبير . واحدته درة

- ١٠ -

كتاب اليتيمة[1] في النسب وفضائل العرب

يمهد المؤلف لهذا الكتاب بقوله : قد مضى قولنا فى النوادب والمراثى ، ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى النسب الذى هو سبب التعارف وسُلَّم إلى التواصل . به تتعاطف الأرحام ، وعليه تحافظ الأواصر القريبة . . . فمن لم يعرف النسب لم يعرف الناس ، ومن لم يعرف الناس لم يعد من الناس .

ويبدأ بفصل بأصل النسب ، فيقول : إن ولد نوح ثلاثة سام وحام ويافث . فولد سام العرب وفارس والروم ، وولد حام السودان والبربر والقبط ، وولد يافث الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج .

ثم ينتقل إلى ذكر أصل قريش ونسبها وفضلها ، ثم نسب وفضل بنى هاشم وبنى أمية ، ثم يذكر فضل العرب ونسب أهم قبائلها وبيوتاتها : مضر ــ نزار ــ هذيل ــ كنانة ــ أسد ــ تميم ــ قيس ــ هوازن ــ ربيعة ــ وائل ، وغيرها من قبائل اليمن والجزيرة كلها .

* * *

(١) اليتيمة : هى اللؤلؤة أو الدرة الثمينة التى لا نظير لها .

-١١-
كتاب العسجدة[1] في كلام العرب

يقـول المؤلف فى المقدمـة . . . نحن قـائلـون بعون اللـه وتـوفيقه فى كـلام الأعـراب ، خـاصـة إذا كـان أشرف الكلام حسبـا ، وأكثـره رونقـا ، وأحسنـه ديباجة ، وأقله كلفة ، وأوضحه طريقة . . .

ويـورد قولهم فى بعض الأدعيـة ، وفى بعض المناسبـات كالاستطعـام ، وفى المواعظ والزهد ، وفى المدح ، وفى الـذم ، وفى الغزل ، وفى الخيل ، وفى الغيث ، وفى الطعام .

ومن قولهم فى النوادر والملح :

نزل عبداللـه بن جعفر إلى خيمة اعرابيـة ولها دجاجة وقد دجنـت عندها ، فذبحتها ، وجاءت بها إليه ، فقالت : يا أبا جعفر هذه دجاجة لى كنت أُدجنها وأعلفهـا من قـوتى ، وألمسهـا فى آنـاء الليل فكأنما ألمس بنتى زلت عن كبدى ، فنذرت للـه أن أدفنها فى أكرم بقعـة تكون ، فلم أجـد تلك البقعة المباركة إلا بطنك ، فأردت أن أدفنها فيه . فضحك عبـدالله بن جعفر وأمر لها بخمسمائة درهـم .

* * *

---

(١) العسجد : هو الذهب . والقطعة الواحدة منه عسجدة .

-١٢-
كتاب المجنبة في الأجوبة

ويورد الكاتب فى هذا الكتاب بعض الأمثلة للحوارات والأسئلة والإجابات البليغة ذات المغزى وأغلبها فى واقعات معينة .

ونكتفى هنا بمثال واحد، وهو إجابة عقيل بن أبى طالب وقد طلب منه معاوية أن يلعن على بن أبى طالب : قال معاوية لعقيل بن أبى طالب : إن عليا قد قطعك ووصلتك، ولا يرضينى منك إلا أن تلعنه على المنبر ! قال : أفعل . فأصعد فصعد، ثم قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : أيها الناس إن أمير المؤمنين معاوية أمرنى أن ألعن على بن أبى طالب، فالعنوه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. ثم نزل. فقال له معاوية إنك لم تبين أبا يزيد من لعنت بينى وبينه . قال : والله لا زدت حرفا ولا نقصت آخر، والكلام إلى نية المتكلم .

* * *

-١٣-
كتاب الواسطة في الخطب

ونصل إلى وسط العقد وفيه الواسطة، ويقول المؤلف : ونحن قائلون فى الخطب التى يتخير لها الكلام، وتفاخرت بها العرب فى مشاهدهم، ونطقت بها الأئمة على منابرهم، وشهرت بها فى مواسمهم وقامت بها على رءوس خلفائهم، وتباهت بها فى أعيادهم ومساجدهم، وخوطب بها العوام، واستجزلت لها الألفاظ، وتُخيرت لها المعانى :

اعلم أن جميع الخطب على خبرين منها الطوال ومنها القصار، ولكل ذلك موضع يليق به ومكان تحسُن فيه. فأول ما نبدأ به خطب النبى صلى الله عليه وسلم، ثم السلف المتقدمين، ثم الجلة من التابعين والجلة من الخلفاء الماضين والفصحاء المتكلمين على ما سقط إلينا ووقع عليه اختيارنا ثم نذكر بعض خطبهم لجزالة ألفاظهم وبلاغة منطقهم.



(١) الواسطة : أى واسطة القلادة أو العقد وهى الجوهرة التى فى الوسط وهى عادة الأجود.

خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع :

إن الحمد لله ، نحمده ونستغفره ونتوب اليه ؛ ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا . مَن يهد الله فلا مُضل له ، ومن يُضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله . أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، وأحثكم على طاعته ، وأستفتح بالذى هو خير . أما بعد ، أيها الناس اسمعوا منى أبين لكم ، فإنى لاأدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا فى موقفى هذا . أيها الناس ، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا . ألا هل بلغت اللهم اشهد . فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى الذى ائتمنه عليها . وإن ربَا الجاهلية موضوع ، وإن أول ربا أبدأ به ربا عمى العباس بن عبدالمطلب . وإن دماء الجاهلية موضوعة ، وإن أول دم أبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب . وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية . والعَمْدُ قَود ،(1) وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر ففيه مائة بعير، فمن زاد فهو من أهل الجاهلية . أيها الناس، إن الشيطان قد يئس أن يعبد فى أرضكم هذه ، ولكنه رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم . أيها الناس ، إنما النسىء زيادة فى الكفر يضل بها الذين كفروا ، يحلونه عاما ويحرمونه عاما ، ليواطئوا عدة ما حرم الله ، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض . وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله [يوم خلق] السموات والأرض، منها أربعة حُرُم ، ثلاثة متواليات ، وواحد فرد ، ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب الذى بين جمادى وشعبان . ألا هل بلغت ، اللهم اشهد .

---

(1) القود : القصاص ، أى من قتل عمدا يقتل .

أيها الناس، إن لنسائكم عليكم حقا ، وإن لكم عليهن حقا ، لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم غيركم، ولايُدخلن أحدا تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم ، ولا يأتين بفاحشة فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تَعْضُلوهن وتهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح ، فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف. وإنما النساء عندكم عَوَار لا يملكن لأنفسهن شيئا، أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، فاتقوا الله فى النساء واستوصوا بهن خيرا . أيها الناس إنما المؤمنون إخوة فلا يحل لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفسه ، ألا هل بلغت ، اللهم اشهد . فلا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم أعناق بعض، فإنى قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا : كتاب الله[1] ، ألا هل بلغت اللهم اشهد . أيها الناس: إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، أكرمكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربى على عجمى فضل إلا بالتقوى . ألا هل بلغت قالوا: نعم . قال: فليبلغ الشاهد منكم الغائب . أيها الناس ، إن الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ، ولا يجوز لوارث وصية [ولا تجوز وصية] فى أكثر من الثلث ، والولد للفراش وللعاهر الحَجر ، من ادعى إلى غير أبيه، أو تولى غير مواليه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ومن خطبة لأبى بكر عندما تولى الخلافة :

أيها الناس ،إنى قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن رأيتمونى على حق فأعينونى وإن رأيتمونى على باطل فسددونى. أطيعونى ما أطعت الله فيكم. ألا إن أقواكم عندى الضعيف حتى آخذ الحق له وأضعفكم عندى القوى حتى آخذ الحق منه .

---

(١) زيد فى بعض الأصول : بعد قوله « الله » وأهل بيتى » .

ومن خطبة لعمر بن الخطاب :

أيها الناس اتقوا اللـه فى سريرتكم وعلانيتكم . وأمروا بـالمعروف وانهوا عن المنكر ، ولا تكـونوا مثل قوم كـانوا فى سفينة فأقبـل أحدهم على موضعـه يخرقه فنظر إليه أصحابـه فمنعوه ، فقال هو موضعى ولى أن أحكـم فيه . فان أخذوا على يده سلم وسلمـوا وإن تركوه هلك وهلكـوا . وهذا مثل ضربته لكـم رحمنا الله وإياكم .

ثم يورد الكتاب خطبا كثيرة :

لعلى بن أبى طالب فى مـواضع مختلفة ، وكـذلك لمعاوية وخلفـاء بنى أمية وخطبا لبنى العباس منها خطبة للمنصور بمكة :

«أيها الناس ، إنما أنـا سلطان اللـه فى أرضه ، أسوسكم بتـوفيقه وتسـديده وتأييده ، وحـارسه على مـاله أعمل فيـه بمشيئته وإرادتـه وأعطيه بإذنـه ، فقد جعلنى الله عليه قفلا » . . .

ومن خطبة شهيرة للحجاج قوله :

يأهل العراق يأهل الشقاق والنفاق ومساوئ الأخلاق وبنى اللكيعة وعبيد العصا وأولاد الإماء . . .

- ثم خطبة لعائشة أم المؤمنين رحمها الله يوم الجمل .
- ثم خطب الخوارج .
- ثم خطاب النكاح .

-١٤-
كتاب المجتبنة الثانية
في
التوقيعات والفصول والصّدور وأدوات الكتابة وأخبار الكتّاب

ويجمع المؤلف فى هذا الكتاب كل ما يخص كتابة الرسائل الرسمية أو غير الرسمية ، ومن أمثلة ما احتواه هذا الكتاب : كيف يفتتح الخطاب وكيف يختم بحسب شخصية المرسل إليه والمرسل منه ، وكيف وأين يوضع التاريخ وكيف يختم وكيف يعنون ، . ويورد بعض الأمثلة عن الرسائل الهامة فى العهود المختلفة . . ثم ينتقل إلى الصفات التى ينبغى أن يتصف بها الكتّاب من البلاغة والأدب والإيجاز ، وما يجوز ومالا يجوز فى الكتابة ، وكذلك أنواع الأقلام والخطوط وأنواع الورق والأحبار.

وفى فصول أخرى ، يورد نماذج من توقيعات «تأشيرات» الخلفاء على الرسائل . ويختم هذا الكتاب بنماذج الكتابة فى بعض المناسبات منها : المودة ــ الزيارة ــ العتاب ــ التنصل ــ التواصل ــ الشكر ــ البلاغة ــ المدح ــ الذم ــ الأدب ــ الاستفسار عن المريض . . ونماذج أخرى من الكتابة إلى الخليفة ، وإلى ولى العهد ، وإلى صاحب الشرطة ، وإلى القاضى . .

ونلتقط فيما يلي بعضا من هذه النماذج :

في استفتاح الكتاب :

إبراهيم بن محمد الشيباني قال : لم تزل الكتب تُستفتح باسمك اللهم ، حتى أنزلت سورة هود وفيها ﴿ بسم الله مجراها ومرساها ﴾ .[1] فكُتب ﴿بسم الله ﴾ . ثم نزلت سورة في إسرائيل ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن﴾ [2] . . فكُتب بسم الله الرحمن . ثم نزلت سورة النمل ﴿ إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ،[3] فاستفتح بها رسول الله ﷺ وصارت سنة .

في تأريخ الكتاب :

لابد من تأريخ الكتاب ، لأنه لا يدل على تحقيق الأخبار وقرب عهد الكتاب وبعده إلا بالتاريخ . فإذا أردت أن تؤرخ كتابك ، فانظر إلى ما مضى من الشهر وما بقي منه فإن كان ما بقي أكثر من النصف كتبت لكذا ليلة مضت من شهر كذا ، وإن كان الباقي أقل من النصف جعلت مكان : مضت ، بقيت . وقد قال بعض الكتاب : لا تكتب إذا أرّخت إلا ما مضى من الشهر لأنه معروف ، وما بقي منه مجهول لأنك لا تدري أيتم الشهر أم لا .

صفة الكاتب :

قال إبراهيم بن حمد الشيباني : من صفة الكاتب : اعتدال القامة ، وصغر الهامة ، وكثافة اللحية ، وصدق الحس ، ولطف المذهب ، وحلاوة الشمائل ، وحسن الإشارة ، وملاحة الزي ؛ حتى قال البعض تَزَيّوا بزي الكتاب كان فيهم أدب الملوك وتواضع السوقة .

---

(١) هود : ٤١ . (٢) الإسراء : ١١٠ . (٣) النمل : ٣٠.

ما ينبغى للكاتب أن يأخذ به نفسه :

قال إبراهيم الشيبانى : أول ذلك حسن الخط الذى هو لسان اليد ، وبهجة الضمير، وسفير العقل ، ووحى الفكرة ، وسلاح المعرفة ، وأُنس الإخوان عند الفرقة ، ومحادثتهم على بعد المسافة ، ومستودع السر .

فيما يحتاج إليه الكاتب :

فإذا كان لابد لك من طلب أدوات الكتابة ، فتصفح من رسائل المتقدمين مايعتمد عليه ، ومن رسائل المتأخرين ما يرجع إليه ، ومن نوادر الكلام ما تستعين به ، ومن الأشعار والأخبار والسير والأسمار ما يتسع به منطقك ويطول به قلمك . وانظر فى كتب المقامات والخطب ومجاوبة العرب ، ومعانى العجم ، وحدود المنطقة ، وأمثال الفرس ورسائلهم وعهودهم وسيرهم ووقائعهم ومكايدهم فى حروبهم ، والوثائق والصور وكتب السجلات والأمانات وقرض الشعر الجيد وعلم العروض ، بعد أن تكون متوسطا فى علم النحو والغريب . . .

فضائل الكتابة :

قال المؤيد : كُتب الملوك عيونهم الناظرة ، وآذانهم الواعية ، وألسنتهم الناطقة . والكتابة أشرف مراتب الدنيا بعد الخلافة ، وهى صناعة جليلة تحتاج إلى آلات كثيرة . . .

ما يجوز فى الكتابة وما لايجوز فيها :

قال الشيبانى : إذا احتجت إلى مخاطبة الملوك والوزراء والعلماء والكتاب والخطباء والأدباء والشعراء وأوساط الناس وسوقتهم ، فخاطب كلا على قدر أُبهته وجلالته وعلوه وارتفاعه وفطنته وانتباهه . . .

تضمين الأسرار فى الكتب :

وأما تضمين الأسرار فى الكتب حتى لا يقرأها غير المكتوب إليه، ففيه أدب تجب معرفته . وكان أبو حاتم سهل بن محمد قد وصف لى منها أشياء جليلة من تبديل الحروف[1] وذلك ممكن لكل إنسان. غير أن اللطيف من ذلك أن تأخذ لبنا حليبا فتكتب به ، فينثر المكتوب له عليه رمادا سخنا من رماد الورق فيظهر ما كتبت به إن شاء الله . . . وإن أحببت ألا يقرأ الكتاب بالنهار ويقرأ بالليل، فاكتبه بمرارة السلحفاة .

قولهم فى الأقلام :

قالوا : القلم أحد اللسانين، وهو المخاطب للعيون بسرائر القلوب على لغات مختلفة من معان معقودة بحروف معلومة مؤلفة . . .

وقالوا : القلم يخدم الإرادة ولا يمل الاستزادة . يسكت واقفا وينطق ساكتا على أرض بيانها مظلم وسوادها مضيء .

وقال أرسطوطاليس : عقول الرجال تحت سن أقلامهم .

قولهم فى الحبر :

قال بعض الكتاب : عطروا دفاتر آدابكم بجيد الحبر . .

وقال الشاعر :

لا تجزعن من المداد فإنه عطر الرجال وحلية الكُتّاب

صدور الكتب :

ومن أمثلة استفتاح الكتب بحسب شخصية المرسل إليه ما يلى :

- إلى خليفة : وفق الله أمير المؤمنين بالظفر فيما قلده ، وأيده وأصلح به وعلى يديه .

---

(١) نوع من الشفرة .

- إلى ولى عهد : متع الله أمير المؤمنين بطول مدة الأمير ، وأجرى على يديه فعل الجميل ، وآنس بولايته المؤمنين .

- إلى ولى شرطة : أنصف الله بك المظلوم ، وأغاث بك الملهوف ، وأيدك بالتثبت ووفقك للصواب .

- إلى قاض : ألهمك الله الحجة ، وأيدك بالتثبت ، ورد بك الحقوق .

* * *

-١٥-
كتاب العسجدة الثانية
في
الخلفاء وتواريخهم وأخبارهم

يستعرض المؤلف فى هـذا الجزء التاريخ الإسـلامى، منذ عصر النبى صلى الله عليـه وسلم إلى سنـة ٣٣٠ هـ . من خـلال الخلفـاء والـدول الإسـلاميـة المختلفة ، مـرورا بعصر الخلفاء الـراشدين الأربعـة ثم العصر الأمـوى فالعصر العباسى. كما أنه يذكر أخبار خلفاء بنى أمية فى الأندلس فى هذه الفترة أيضا . ويبدأ بذكر اسم الخليفة أو الأمير ونسبه وكنيته وصفاته وفضائله وتاريخ مولده وتاريخ توليه السلطة وكيفية ذلك وتاريخ تركه للسلطة أو وفاته، ويذكر كيفية انتقال الخلافة إلى سلفه .

ومن بين ما يعدده المؤلف كبار المعاونين لهؤلاء الخلفاء ، سواء من الوزراء أو الحجاب أو الكتاب أو أصحاب الشرطة أو القضاة وولاة الأمصار والثغور .

وهذا الكتاب قد يفيد الـدارسين المتعمقين فى التاريخ العربى، والذى كان يعيبه الأسماء الكثيرة لأولئـك الذين تـولوا المناصـب المشار إليها فى كـل حقبة تاريخية .

* * *

-١٦-

كتاب اليتيمة الثانية في

أخبار زياد والحجّاج والطالبيّين والبرامكة

وهذا الكتاب أيضا يتعلق بالتاريخ المحض لدولة الخلافة العباسية فى بغداد ، وفيه يستعرض أخبار خلفاء هذه الدولة ، ويعرض لأهم أحداثها وعلى الأخص أزمة البرامكة من حيث نشأتها وأسبابها .

وهو أيضا مكتظ بالأسماء والأنساب التى لا تعنى القارئ العادى فى عصرنا ، بل قد تفيد المتخصص .

ونسوق فيما يلى مثالا واحدا من هذا الباب ، وهو وارد تحت عنوان :

ذكر خلفاء بنى العباس وصفاتهم ووزرائهم وحجابهم :

ـ أبوالعباس السفاح :

ولد أبو العباس عبدالله بن محمد بن على بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب مُستهلّ رجب سنة أربع ومائة ، وبُويع له بالكوفة يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائة . وتوفى بالأنبار لثلاث عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة ست وثلاثين

ومائة . فكانت خلافته أربع سنين وثمانية أشهر . وأمه ريطة بنت عبيد الله بن عبدالله بن عبدالمدان .

وكان أبيض طويلاً أقنى الأنف حسن الوجه حسن اللحية جعدها ، نقشُ خاتمه « الله ثقة عبدالله وبه يؤمن » ، وصلى عليه عمه عيسى بن على . ورزق من الولد اثنين : محمد ، من أم ولد ، ومات صغيرا ؛ وابنة سماها ريطة ، من أم ولد ، تزوجها المهدى وأولدها عليّا وعبيد الله .

ووَزَر لـه أبو سلمة حَفص بن سليمان الخلال ، وهو أول من لُقب بالوزارة . فقتله أبو العباس واستوزر بعده خالد بن برمك إلى آخر أيامه ، وكان حاجبه أبا غسان صالح بن الهيثم ، وقاضيه يحيى بن سعيد الأنصارى .

ـ هارون الرشيد :

ثم بويع أبو محمد هارون الرشيد فى اليوم الذى توفى فيه أخوه الهادى يوم الجمعة لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة سبعين ومائة . وفى هذه الليلة ولد عبدالله المأمون . ولم يكن فى سائر الزمان ليلة ولد فيها خليفة وتوفى فيها خليفة وقام فيها خليفة غيرها . وكان مولد الرشيد فى محرم سنة ثمان وأربعين ومائة . وتوفى فى جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين ومائة ، ودفن بطُوس [1] وصلى عليه ابنه صالح ، فكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة وشهرا وستة عشر يوماً . وكانت سنه ستا وأربعين سنة وخمسة أشهر . ولما أفضت إليه الخلافة ، سلم عليه عمه سليمان بن المنصور ، والعباس بن محمد عم أبيه ، وعبدالصمد بن على عم جده ؛ فعبد الصمد عم العباس ، والعباس عم سليمان ، وسليمان عم هارون .

(١) طوس : مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور نحو عشرة فراسخ .

وكان الرشيد أبيض جسيما طويـلا جميلا . قد وَخطه الشيب . نقش خاتمه « لا إلـه الا الله »، وخـاتم آخـر « كن من اللـه على حـذر » . وتزوج زبيـدة واسمها أمـة العزيـز ، وتُكنى أم الواحـد ، وزبيدة لقب لها . وهى ابنـة جعفر المنصور، أولدها محمدا الامين ؛ ثم مراجل فأولدها عبدالله المأمون ؛ ثم ماردة أولدها محمدا المعتصم ؛ ثم نادرة ولدت لـه صالحا ؛ ثم شجا ولدت له خديجة ولبابة ؛ ثم سريرة ولدت محمدا ؛ ثم بربـرية ولدت له أبا عيسى والقاسم وهو المؤتمن ؛ ثم سكينة ؛ ثم حث فولدت له إسحاق وأبا العباس .

ووزر له جعفـر بن يحيى بن خالـد البرمكى وقتله ، ثم الفضل بـن الربيع واستحجب بشر بن ميمـون ، مـولاه ؛ ثم محمـد بـن خـالـد بن بـرمك . واستخلف على قضاء الجانب الغربى نوح بن دراج وحفص بن غياث .

* * *

-١٧-
كتاب الدرّة الثانية
في
أيام العَرب وَوقائِعهم

يقول المؤلف فى تقديمه لهذا الباب :

. . . ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه فى أيام العرب ووقائعهم : إنها مآثر الجاهلية ومكارم الأخلاق السنية . قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ماكنتم تتحدثون به إذا خلوتم فى مجالسكم ؟ قال : كنا نتناشد الشعر ، ونتحدث بأخبار جاهليتنا . وقال بعضهم : وددت أن لنا مع إسلامنا كرم أخلاق آبائنا فى الجاهلية ، ألا ترى أن عنترة الفوارس جاهلى لادين له ، والحسن بن هانئ إسلامى له دين ، فمنع عنترة كرمه مالم يمنع الحسن بن هانئ دينه ؛ فقال عنترة فى ذلك :

وأغُض طرفى إن بدت لى جارتى   حتى يُوارى جارتى مأواها

وقال الحسن بن هانئ :

كان الشباب مطية الجهل   محسن الضحكات والهزل
والباعثى والناس قد رقدوا   حتى أتيت حليلة البعل

ويسـوق المؤلـف الكثير من الأمثـلة للحـروب التى وقعت بين مختلف القبائل فى الجـاهلية ، وهى كثيرة ، حتى إن هـذا الباب يقـع فى حـوالى مائـة وأربعين صفحـة . ومن الصعـب على القـارئ المعـاصر أن يلـم بها ، نظـرا لغموضها بالنسبة له .

ويبـدأ هـذا الفصل بحروب قيس فى الجاهليـة ، وهى تـزيـد على عشرين موقعة منها : حرب داحس والغبراء ، ويـوم الفروق ، ويوم قطن ، ويوم غـدير قلهى ، ثم حروب قيس وكنانة ، ثم حروب قيس وتميم ، ثم أيام بكر على تميم ، ثم حرب البسوس ، ثـم أيام الفجار[1] ، حيث يذكـر بداية الموقعـة فى كل يوم وسبب نشـوب الخلاف وكيف ينقلب إلى مـوقعـة حـربية وكيفيـة سير الموقعـة ونهايتها .

ومن أمثلة هذا الباب :

يوم الفجار الثانى :

كـان الفجار الثـانى بين قريش وهـوازن ، وكـان الذى هـاجه أن فتيـة من قريش قعـدوا إلى امرأة من بنى عـامر بن صَعصعة ، وضيئـة حُسَّانـة ، بسوق عكاظ . وقالوا : بل أطاف بها شبـاب من بنى كنانة وعليها بُرقع وهى فى درع فضل ، فأعجبهم مـارأوا من هيئتها ، فسألـوها أن تسفر عن وجههـا . فأبت عليهم . فأتى أحدهم من خلفها فشـد دبر درعها[2] بشوكة إلى ظهـرها ، وهى لاتدرى ، فلما قامت تقلص الـدرع عن دبرها . فضحكوا وقالوا : منعتنا النظر إلى وجهها ، فقد رأينا دبرها . فنادت المرأة : يالعامر.

(١) أيـام الفجـار : الأيـام التى كـانت فى الأشـهر الحـرم ، وهى الشهـور التى يحرمـونها ، ففجروا فيها .

(٢) درعهـا : ذيلهـا .

فتحاور النـاس ، وكان بينهـم قتال ودماء ، فحملهـا حرب بـن أمية وأصلح بينهم .

يوم الفجار الثالث :

وهو بين كنانة وهوازن . وكان الذى هاجه أن رجلاً من بنى كنانة كان عليه دين لـرجل من بنى نصر بن معاويـة ، فأعدم الكنـانى . فوافى النصرى بسـوق عكـاظ بقرد فأوقفـه فى سوق عُكـاظ ، وقال : من يبيعنى مثل هـذا بما لى على فلان؟ حتى أكثر فى ذلك . وإنما فعل ذلك النصرى تعييرا للكنـانى ولقومه . فمر به رجل من بنى كنانة فضرب القرد بسيفه فقتله .

فهتف النصرى : يا لهوازن ، وهتف الكنـانى : يالكنانة . فتهـايج الناس حتى كاد أن يكون بينهم قتال ، ثم رأوا الخطب يسيرا فتراجعوا ، ولم يفقم الشر بينهم .

يوم الفجار الآخر :

وهو بين قريش وكنانة كلهـا وبين هوازن ، وإنما هاجها البراض بقتله عُروة الرحال بن عتبة بن جعفر بن كلاب ، فأبت أن تقتل بعُروة البراض ، لأن عروة سيـد هـوازن ، والبراض خليع من بنى كنـانة ، أرادوا أن يقتلـوا بـه سيـدا من قريش . وهـذه الحروب كانت قبل مبعث النبى صلى اللـه عليه وسلم ، بست وعشرين سنة ، وقـد شهدهـا النبى صلى الله عليه وسلـم وهو ابن أربع عشرة سنة مـع أعمامه . وقال النبى صلى اللـه عليه وسلم : كنت أنْبُل على أعمامى يوم الفجـار ، وأنا ابن أربـع عشرة سنـة ـ يعنى أناولهـم النبل ـ وكان سبب هذه الحرب أن النعمان بـن المنذر ملك الحيرة كان يبعـث بسوق عُكاظ فى كل عام لطيمـة [1] فى جـوار رجل شريـف من أشراف العـرب يُجيرهـا

(١) لطيمة : عير تحمل المسك والبزّ وغيرهما للتجارة (ج) لطائم .

له حتى تباع هناك، ويشترى له بثمنها من أدم الطائف ما يحتاج إليه . وكانت سوق عكاظ تقوم فى أول يوم من ذى القعدة، فيتسوقون الى حضور الحج ،ثم يحجون. وكانت الأشهر الحرم أربعة أشهر : ذا القعدة وذا الحجة والمحرم ورجب. وعكاظ : بين نخل والطائف ، وبينها وبين الطائف نحو من عشرة أميال. وكانت العرب تجتمع فيها للتجارة والتهيؤ للحج من أول ذى القعدة إلى وقت الحج، ويأمن بعضها بعضا. فجهز النعمان عير اللطيمة، ثم قال : من يجيرها ؟ فقال البراض بن قيس النمرى : أنا أجيرها على بنى كنانة. فقال النعمان: ما أريد إلا رجلاً يجيرها على أهل نجد وتهامة. فقال عُروة الرحال وهو يؤمئذ رجل هوازن : أكلب خليع يجيرها لك؟ أبيت اللعن ، أنا أجيرها لك على أهل الشيح والقيصوم[1] من أهل نجد وتهامة. فقال البراض : أعلى بنى كنانة تجيرها يا عروة؟ قال : وعلى الناس كلهم . فدفعها النعمان إلى عُروة . فخرج بها وتبعه البراض، وعروة لا يخشى منه شيئا لأنه كان بين ظهرانى قومه من غطفان إلى جانب فدك[2] إلى أرض يقال لها أوارة.[3] فنزل بها عروة فشرب من الخمر وغنته قينة، ثم قام فنام. فجاء البراض ، فدخل عليه فناشده عروة ، وقال : كانت منى زلة ،وكانت الفعلة منى ضلة . فقتله وخرج يرتجز ويقول :

قد كانت الفعلةُ منى ضَــلَّة
هّلا على غيرى جَعَلْتَ الزَّلَّه
فسوف أعلو بالحسام القلة .

---

(١) أهل الشيح والقيصوم : الشيح نبات سهلى يتخذ من بعضه المكانس . القيصوم نبات سهلى من المرار . ويريد بأهل الشيح والقيصوم العرب جميعا .

(٢) فدك : قرية بالحجاز .

(٣) أوارة : بالضم : فى بلاد بنى تميم

-١٨-
كتاب الزمردة الثانية
في
فضائل الشعر ومخارجه

يقول الكاتب فى مقدمته : . . . . ونحن قائلون فى فضائل الشعر ومقاطعه ومخارجه ، إذ كان الشعر ديوان العرب خاصة ، والمنظوم من كلامها ، والمقيّد لأيامها ، والشاهد على أحكامها ، حتى لقد بلغ من كَلَف العرب به وتفضيلها له أن عمدت إلى سبع قصائد تخيرتها من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب فى القباطى المدرجة وعلقتها بين أشعار الكعبة ؛ فمنه يقال : مُذهبة امرئ القيس ، ومذهبة زهير. والمذهبات سبع ، وقد يقال لها المعلقات .

المعلقات السبع هى :

- لامرئ القيس : قفَا نَبْكِ من ذكرى حبيب ومنزل .
- لزهير : أمن أم أوفى دمنة لم تكلم .
- ولطرفة : لخولة أطلال بِبرقة ثَهْمد .
- ولعنترة : يا دار عبلة بالجواء تكلمى .
- لعمرو بن كلثوم : ألا هُبِّى بصحنك فاصبحينا .
- للبيد : عفت الديار محلها فمقامها .
- للحارث بن حِلّزة : آذنتنا ببينها أسماء .

اختلاف الناس فى أشعر الشعراء :

ـ قال البعض امرؤ القيس ، وقال البعض النـابغة الذبيانى ، وقالوا زهير بن أبى سلمى .

ـ وقد سئل الحُطيئة : من أشعر الناس ؟ قال : النابغة إذا رهب ، وزهير إذا رغب ، وجرير إذا غضب .

ـ وقال أبـو عمرو بن العلاء : طرفـة أشعرهم فى قصيدتـه : « لخولة أطلال بِبرقة ثهمد» .

وفيها يقول :

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا   ويأتيك بالأخـبار مـن لـم تُزوِّدِ

ـ واختلف النـاس فى أشعر نصف بيت قـالته العرب ؛ فقـال بعضهم قول أبى ذؤيب الهذلى : والدهرُ ليس بمعتب من يجزع

ـ وقـال بعضهم : قول حميـد بن ثـور الهلالى : تـوكل بـالأدنى وإن جل مايمضى .

ـ وقال بعضهم قول زُميل بن أبرد : ومن يك رهنا للحوادث يغلق .

أحكم بيت وأفخر بيت قالته العرب :

لحسان بن ثابت الأنصارى أفخر بيت :

وليـوم بدر إذ يُرَدّ وجوهـهـم   جـبريـلُ تحت لوائنـا ومحمـد

وله أيضا أحكم بيت :

وإن امرأ أمسى وأصبح سالما   من الناس إلا ما جنى لسعيد

وقالوا : أهجى بيت قالته العرب قول جرير :

والتغلبى إذا تنحنح للـقِرَى   حـك استـه وتمـثل الأمثـال

ولما قال جرير نفسه هذا البيت قال : والله لقد هجوتُ بنى تغلب لو طعنوا فى استاهم بالرماح ما حكوها .

ويقال إن أبدع بيت قالته العرب قول أبى ذؤيب الهذلى :

والنفس راغبة إذا رغّبتها وإذا تُردُّ إلى قليل تقنع

ويقال إن أصدق بيت قالته العرب قول لَبيد :

ألا كل شىء ما خلا اللهَ باطل وكل نعيم لا محالة زائل

ـ ثم يورد المؤلف بعض نماذج من الشعر والمناسبات التى قيلت فيه . فمن شعر الغزل إلى شعر المدح إلى شعر الهجاء ، ثم باب من أخبار الشعراء وباب من نوادرهم .

* * *

-١٩-
كتاب الجوهرة الثانية
في
أعاريض الشّعر وعلل القوافي

.. أول ما ينبغى لصاحب العروض أنه يبتدئ به معرفة الساكن والمتحرك ، فإن الكلام كله لا يعدو أن يكون ساكنا أو متحركا .

... واعلم أنه مدار الشعر وفواصل العروض على ثمانية أجزاء ، وهى : فاعلن فعولن مفاعيلن فاعلاتن مستفعلن مفاعلتن متفاعلن مفعولات .

ويورد المؤلف فى هذا الكتاب أمثلة ونماذج لمختلف أنواع العروض .

* * *

-٢٠-

كتاب الياقوتة الثانية في الألحان «أو الغناء» واختلاف الناس فيه

علم الغناء اختلف الناس فيه بين كاره ومستحسن .

وقد كرهنا أن يكون كتابنا هذا بعد اشتماله على فنون الآداب والحكم والنوادر والأمثال عطلاً من هذه الصناعة التى هى مراد السمع ، ومرتع النفس ، وربيع القلب ، ومجال الهوى ، ومسلاة الكئيب ، وأُنس الوحيد ، وزاد الراكب ، لعظم موقع الصوت الحسن من القلب وأخذه بمجامع النفس . .

وفى فضل الصوت الحسن يقول :

ـ زعم أهل الطب أن الصوت الحسن يسرى فى الجسم ويجرى فى العروق ، فيصفو له الدم ، ويرتاح له القلب ، وتهش له النفس ، وتهتز الجوارح ، وتخف الحركات . . . . .

ـ وزعمت الفلاسفة أن النغم فضلٌ بقى من المنطق لم يقدر اللسان على استخراجه ، فاستخرجته الطبيعة بالألحان على الترجيح لا على التقطيع ، فلما ظهر عشقته النفس وحن إليه الروح . ولذلك ، قال أفلاطون : لا ينبغى أن تمنع النفس من معاشقة بعضها بعضا ، ألا ترى أن أهل الصناعات كلها إذا خافوا الملالة والفتور على أبدانهم ترنموا بالألحان فاستراحت لها أنفسهم؟!

وليس من أحـد كائنا من كان إلا وهـو يطـرب من صوت نفسه ويعجبه طنين رأسه. ولو لم يكـن من فضـل الصوت إلا أنه ليس فى الأرض لذة تكتسب من مأكل أو ملبس أو مشـرب أو نكـاح أو صيد إلا وفيهـا معـاناة على البـدن وتعب الجوارح، ما خـلا السماع، فإنه لا معـاناة فيـه على البدن ولا تعب على الجوارح.

وقـد يُتوصل بـالألحان الحسـان إلى خيرى الدنيـا والآخـرة. فمن ذلك أنها تبعث على مكارم الأخلاق من اصطناع المعـروف، وصلة الأرحام، والذب عن الأعراض، والتجاوز عن الذنوب. وقـد يبكى الرجل بها على خطيئته، ويرقق القلب من قسوته، ويتذكر نعيم الملكوت ويمثله فى ضميره.

وعن أثر الغناء فى النفوس يقول :

هل خلق اللـه شيئا أوقع بـالقلـوب وأشد اختـلاسـا للعقول من الصـوت الحسن؟ لاسيما إذا كان من وجه حسن كما قال الشاعر :

رب سمـاع حسـن	سمعته من حسـن
مقـرب من فـرح	مبـعـد من حَـزَن

وعن اختلاف الناس فى الغناء :

اختلف الناس فى الغنـاء؛ فأجازه عـامة أهل الحجاز، وكـرهه عـامة أهل العراق. فمن حجـة من أجازه أن أصلـه الشعر الـذى أمر بـه النبى صلى الله عليـه وسـلم وحض عليـه ونـدب أصحـابه إليـه . . وأن الشـعر هو ديـوان العرب ومقيد أحكامها والشاهد على مكـارمها، وأكثر أشعار حسان بن ثابت يغنى بها.

ومن قـول عـائشـة رضى اللـه عنهـا : علمـوا أولادكم الشعـر تعـذب ألسنتهم.

-٢١-

كتاب المرجانة الثانية في النساء وصفاتهن

فى حكمة لسليمان بن داود عليهما السلام :

«المرأة العاقلة تبنى ، بيتها والسفيهة تهدمه» .

وعن الأصمعى عن رجل يتشاور فى أمر زواج ابنته قال :

أخبرنى رجل من بنى العنبر عن رجل من أصحابه ، وكان مقلا ، فخطب إليه مكثرٌ من مال مقلٌّ من عقل . فشاور فيه رجلا يقال له أبو يزيد فقال : لا تفعل ، ولا تزوج إلا عاقلا دينا ؛ فإنه إن لم يكرمها لم يظلمها . ثم شاور رجلا آخر يقال له أبو العلاء ، فقال له : زوّجه فإن ماله لها وحمقه على نفسه . فزوجه فرأى منه مايكره فى نفسه وابنته ، فقال :

لهفى إذ عصيت أبا زيد ، ولهفى إذ أطعت أبا العلاء .

وكانت هفوة من غير ريح وكانت زلفة من غير ماء

بين زوجتين قديمة وحديثة :

تزوج رجل امرأة حديثة على امرأة له قديمة ، فكانت جارية الحديثة تمر على باب القديمة فتقول :

وما تستوى الرِّجلان رجلٌ صحيحة ورجل رمى فيها الزمان فشلّت

ثم تعود فتقول :

وما يستوى الثوبان ثوب به البلى وثـوب بأيدى البائعيـن جديد

فمرت جارية القديمة على الحديثة فأنشدت :

نِقِّل فؤادك حيث شئت من الهوى مـا القلــب إلا للحـبيب الأول

كم مـنزل فى الأرض يألفــه الفتى وحــنينـه أبــدا لأول مــــنزل

فى صفات النساء وأخلاقهن :

ـ قـال أبو عمرو بن العـلاء : أعلم الناس بالنسـاء عبدة بن الطيب حيث يقول :

فإن تســألـونى بالنســاء فإننى عـليم بأدواء النســـاء طــبيب

إذا شاب رأس المرء أو قل مالــه فليسـت لـــه فى ودهـن نصيب

يـردن ثـراء المـال حـيث علمنه وشرخ الشباب عندهـن عجيب

ـ وقال عبد الملك بن مروان :

من أراد أن يتخذ جـارية للمتعة فليتخـذها بربـرية ، ومن أرادها للـولد فليتخذها فارسية ، ومن أرادها للخدمة فليتخذها رومية .

ـ وقال الأصمعى : بنات العم أصبر، والغرائب أنجب ، وما ضرب رءوف الأبطال كالأعجمية .

ـ ونظـر خالـد بن صفوان إلى جماعـة فى المسجد بالبصرة ، فقال : مـا هذه الجماعة ؟ فقالـوا: على امرأة تدل على النساء . فأتـاها فقال لها : ابغنى امرأة . قالت : صفها لى . قال :

أريدهـا بكرًا كثيب أو ثيبًـا كبكر ، حلـوة من قريب فخمـة من بعيد ، كانت فى نعمة فأصابتها فاقـة ، فمعها أدب النعمة وذل الحاجة ، فإذا اجتمعنا كنا أهل دنيا ، وإذا افترقنا كنا أهل آخرة .

قالت : قد أصبتها لك . قال : وأين هى؟

قالت : فى الرفيق الأعلى من الجنة ، فاعمل لها !

ـ وسئل أعرابـى عـن النسـاء فقـال : أفضل النساء أطـولهن إذا قـامت ، وأعظمهن إذا قعـدت ، وأصـدقهن إذا قـالت . التى إذا غضبت حلمت وإذا ضحكت تبسمت ، وإذا صنعت شيئـا جـوّدت . التى تطيع زوجهـا ، وتلـزم بيتها . العزيزة فى قومها ، الذليلة فى نفسها ، الودود الولود ، وكل أمرها محمود .

صفة المرأة السوء :

ـ قال النبى صلى الله عليه وسلم : «إيـاكم وخضراء الدمن» يريد الجارية الحسناء فى منبت السوء .

ـ وفى حكمـة داود : المرأة السوء مثل شرك الصيـاد لا ينجـو منهـا إلا من رضى الله عنه .

ـ وقال محمد عبد السلام الخُشنى :

إياك وكل امـرأة مذكرة منكرة ، حـديدة العرقوب ، بـادية الظنبوب(١) ، منتفخة الـوريد ، كلامهـا وعيد ، وصوتها شـديد ، تـدفن الحسنات ، وتفشى السيئات ، تعين الزمان على بعلها ، ولا تعين بعلهـا على الزمان ، ليس فى قلبها لـه رأفة ، ولا عليـه منـه مخافة . إن دخل خـرجت ، وإن خرج دخلت ، وإن ضحك بكت ، وإن بكى ضحكت ، وإن طلقها كانت حريبته ، وإن أمسكها كـانت مصيبتـه . سعفـاء ورهاء ، كثيرة الـدعـاء ، قليلـة الإرعـاء ، تأكل لما ،

---

(١) حرف الساق من الامام

وتوسع ذمـا . صخـوب غضـوب ، بـزيـة دنيـة ، ليس يُطفأ نـارهـا ، ولا يهدأ إعصارها . ضيقـة الباع ، مهتوكة القنـاع . صبيها مهزول ، وبيتها مـزبول . إذا حدثت تشير بالأصـابع ، وتبكى فى المجامع ، بادية من حجـابها ، نباحة على بابها . تبكى وهى ظـالمة ، وتشهد وهى غـائبة . قد ذل لسـانها بالـزور، وسال دمعها بالفجور.

* * *

-٢-
كتاب الجمانة الثانية
في
المتنبّئين والمحرورين
والبخلاء والطفيليّين

وفى هذا الباب :

- أخبار مدعى النبوة .
- أخبار المحرورين والمجانين .
- أهل العى والجهل المشبهون بالمجانين .
- شعراء المجانين .

أخبار البخلاء :

ومنها أن من رؤساء أهل البخل محمد بن الجهم، وهو الذى قال : وددت أن عشرة من الفقهاء وعشرة من الشعراء وعشرة من الخطباء وعشرة من الأدباء تواطئوا على ذمى، واستهلوا بشتمى، حتى يُنشر عنهم ذلك فى الآفاق، حتى لايمتد إلىّ أمل آمل ، ولا ينشط نحوى رجاء راج .

وقال له أصحابه : إنما نخشى أن نقعد عندك فوق مقدار شهوتك . فلو جعلت لنا علامة نعرف بها وقت استحسانك لقيامنا ؟ قال : علامة ذلك أن أقول : يا غلام هات الغذاء .

طعام البخــــلاء :

قال الأصمعى :

كان المروزى يقـول لزواره إذا أتـوه : هل تغديتم اليـوم ؟ فإن قالـوا : نعم، قال: والله لولا أنكم تغديتم لأطعمتكـم لـونا ما أكلتم مثله ، ولكن ذهب أول الطعام بشهوتكم .

وإن قالوا : لا، قـال : والله لولا أنكم لم تتغدوا لسقيتكم أقـداحا من نبيذ الزبيب ما شربتم مثله . فلا يصير فى أيديهم منه شىء .

* * *

-٢٣-

كتاب الزبرجدة الثانية
في
بيان طبائع الإنسان
وسائر الحيوان وتفاضل البلدان

وكما هو واضح من عنوان هذا الجزء ، فإنه يجمع موضوعات شتى لا ترابط بينها ، فهو يتحدث عن ثلاثة أنواع من النفس :

النفس الملكية ، ثم النفس الغضبية ، والنفس البهيمية .

ثم ينتقل إلى البنيان والدور ، ثم ينتقل إلى الزى واللباس ، ثم إلى التزين والتطيب ، ثم إلى حيوانات الركوب من خيل وبغال وحمير ، ثم الحيوانات والطيور الأخرى والمصايد .

وينتقل بعد ذلك إلى البلدان التى أحيط بها علما ، وفضل كل منها من الجزيرة العربية إلى الشامات والعراقين وفارس وخراسان ومصر والمسجد الحرام وصفة الكعبة والمسجد النبوى وبيت المقدس . وينهى هذا الكتاب بعناوين أخرى متباينة وهى :

نتف من الأخبار ـــ نتف من الطب ـــ التعويذ والرُّقَى ـــ الحجامة والكى ـــ السم والسحر ـــ العين ، ويختم هذا الجزء بالهدايا وما قيل فيها من أقوال وأشعار .

ومن أمثلة اختيارات الكاتب فى هذا الجزء :

فى البنيان :

قال الحكماء : لـذة الطعام والشراب ساعة ، ولـذة الثوب يـوم ، ولذة المرأة شهر، ولذة البنيان دهر .

فى لباس الصوف :

دخـل محمد بن واسع عـلى قتيبة بـن مسلـم ، والى خراسان ، وعليه مِدَرعة[1] صوف ، فقـال له قتيبة : ما يـدعوك إلى لباس هذه ؟ فسكـت عنه ، فقال له قتيبة : أكلمك ، أفلا تجيبنى ؟ قـال : أكـره أن أقول زهـدا فأزكـى نفسى ، أو أقول فقرا فأشكو ربى .

وقـال ابـن السماك لأصحاب الصـوف : واللـه لئـن كـان لباسكـم وفقـا لسرائركم لقد أحببتم أن يطلع الناس عليه ، ولئن كان مخالفا لها لقد هلكتم .

وقال محمود الوراق :

تصـوف كـى يقال له أميـن ... وما يعنـى التصـوف والأمـانـة

ولـم يـرد الإله بـه ولكـن ... أراد بـه الطـريق إلـى الخيانـة

التزين والتطيب :

قال صلى الله عليه وسلم لعائشة : مالى أراك شعثاء مرهاء سلتاء[2]؟

وفى البغال :

عـاتب الفضـل بن الـربيع بعـض الهاشميين فى ركوب بغلـة فقال : هـذا مـركب تطـامن عـن خيـلاء الفـرس ، وارتفع عـن ذلة الحمير ، وخير الأمـور أوسطها .

---

(١) نوع من الثياب .

(٢) الشعثاء التى لا تدّهن ، والمرهاء التى لا تكتحل ، والسلتاء التى لا تختضب .

وفى الخيل :

أحالنا المؤلف إلى ما سبق أن عرضه عن صفات الخيل وفضائلها فى كتاب الحروب .

وفى الحمير :

قال جرير فى ذمها : لا تركب حمارا، إن كان حديدا أتعب يديك ، وإن كان بليدا أتعب رجليك .

فى الشامات :

أول حد الشام من طريق مصر أمج ثم يليها غزة ثم الرملة رملة فلسطين ومدينتها العظمى فلسطين وعسقلان وبها بيت المقدس ، وفلسطين هى الشام الأولى. ثم الشام الثانية هى الأردن ومدينتها العظمى طبرية وهى التى على شاطئ البحيرة، والغور واليرموك. وبيسان فيما بين فلسطين والأردن، ثم الشام الثالثة الغوطة ومدينتها العظمى دمشق، ومن سواحلها طرابلس. ثم الشام الرابعة وهى أرض حمص.

ثم الشام الخامسة وهى قنسرين ومدينتها العظمى حلب، وبين قنسرين وحلب أربعة فراسخ، وساحلها أنطاكية مدينة عظيمة على شاطئ البحر ، وفى داخلها البساتين والأنهار والمزارع، وهى مدينة حبيب النجار الذى جاء من أقصى المدينة يسعى، وبها مسجد ينسب اليه .

العراقان :

العراقان هى البصرة والكوفة . ومما أحدث الخلفاء بالعراق خلفاء بنى هاشم من المدن الأنبار ، وهى مدينة أبى العباس أول من ولى الخلافة من بنى

هاشم، ابتناهـا واتخذها دارا لخلافته. ثم ولى أخوه أبو جعفـر المنصور فانتقل إلى بغداد وابتنـى بها الكرخ ،وهـى مدينة السـلام فى جوف بغـداد، وهى دار خلافة بنى هاشم ،حتى قام المعتصم محمـد بن هارون فانتقل منها إلى سامرا، وتفسير سامرا أنه سام بن نوح عليه السلام بناها وإنما هو بالسيريانية .

مصر:

من ناحيـة الشام الفسطاط، وهى مدينـة بها منبران ومسجدان يجمع فيهما العسكر حيث السلطان .

وعين شمس بها منبر ،وهى كانت مدينة فرعـون وفيها بنيانه قائم. والفرما لها منبر ،والعريش الذى يقال له عـريش مصر له منبر ،وهى آخر مصر وأول الشـام .ومن أسفـل الأرض بـوصير ولها منبر، وتنيـس لها منبر وإليها تنسـب الثياب التنيسية وبها طراز للخليفة .

وشطـا لها منبر وإليهـا ينسـب الشطـوى، ودبيـق لها منبر وإليهـا ينسـب الدّبيقى من الثياب . والإسكندرية لها منبر . من ناحية الحجاز القلزم لها منبر وأيلة لها منبر. ومـن ناحيـة الصعيد القَس وإليها ينسـب القَسّى مـن الثياب والصفن وإليها تنسب الأكسية الصفنية الحمر.

ودلاص لها منبر وهى مجمع سحـرة مصر، والفيوم مدينة لها منبر تـؤدى كل يـوم ألـف دينـار وخـلـف ذلـك بـوق وبها تكـون معـادن الذهـب والجواهـر والزبرجد .

فى علل تسمية الشهور :

عن العتبى قـال : سمى المحرم لأنه جعـل حراما وصفر لإصفـار مكة من

أهلها ، والربيعان للخصب فيهما ، والجماديان لجمود الماء فيهما من شدة البرد ، ورجب لترجيب[1] العرب أسنتها . وشعبان لأنه شعب[2] بين رجب ورمضان . ورمضان لإرماض الأرض من الحر وشوال لأن الإبل شالت بأذنابها فيه لحملها . وذو القعدة لقعودهم فيه عن الغزو من أجل الحج وذو الحجة للحج .

عن عدد النبيين :

من حديث أبى رافع عن أبى ذر، قال: قلت ، يا رسول الله كم عدد النبيين؟ قال : "مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا .

ومن نتف الطب :

- فى الزبيب : قول النبى عليه الصلاة والسلام : «كلوا فنعم الطعام الزبيب: يذهب النصب، ويشد العصب ، ويطفئ الغضب ، ويصفى اللون، ويطيب النكهة ، ويرضى الرب » .

- وفى السفرجل : قوله عليه الصلاة والسلام : «إنها تشد القلب ، وتطيب النفس ، وتذهب بطخاء[3] الصدر» .

- وفى العلاج :

قوله عليه الصلاة والسلام : ـ «أربع من النشر[4] : شرب العسل نشرة ، والنظر إلى الماء نشرة ، والنظر إلى الخضرة نشرة ، والنظر إلى الوجه الحسن نشرة» .

- فى مكث الطعام :

---

(١) أى تعظيم . (٢) أى فرق وفصل .

(٣) أى الثقل والكرب . (٤) أى العلاج .

يقول الأطباء : إذا خرج الطعام من قبل ست ساعات فهو من ضرر . وإذا أقام فى الجوف أكثر من أربع وعشرين ساعة فهو ضرر .

ـ فى العين :

تقول العرب : إن العين تسرع بالإبل إلى أوصامها ، [1] وبالرجال إلى أسقامها .

* * *

(١) أوصامها : أى أمراضها .

-٢٤-
كتاب الفريدة الثانية في الطعام والشراب

يقول الكاتب : الطعام والشراب هما قوام الأبدان ، وعليهما بقاء الأرواح . وقد قال المسيح عليه السلام في الماء : هذا أبى ، وفى الخبز : هذا أمى . يريد أنهما يغذيان الأبدان كما يغذيها الأبوان .

وهذا الكتاب جزآن : جزء فى الطعام وجزء فى الشراب . فالذى فى الطعام منهما متقص جميع ما يتم ويتصرف به أغذية الطعام من المنافع والمضار، وتعاهد الأبدان بما يصلحها من ذلك فى أوقاته وضروب حالاته ، واختلاف الأغذية مع اختلاف الأزمنة بما لا يخلى المعدة وما لا يكظمها ، فقد جعل الله لكل شىء قدرا .

والذى فى الشراب منهما مشتمل على صنوف الأشربة ، وما اختلف الناس فيه من الأنبذة ، ومحمود ذلك ومذمومه ، فإنا نجد النبيذ قد أجازه قوم صالحون وكرهه قوم صالحون .

باب آداب الأكل والطعام :

ـ قال النبى صلى الله عليه وسلم : « الأكل فى السوق دناءة » .

ـ قـال مسلمة بن عبد الملك لأليون، ملك الروم : «ماتعدون الأحمق فيكم؟» قال : الذى يملأ بطنه من كل ما وجد.

ـ رأى أعرابى رجـلاً سمينا فقـال له : أرى عليك قطيفة من نسج أضراسك .

ـ قال الحجاج بن يوسف لطبيبه : صف لى صفة آخذ بها نفسى ولا أعدوها .

قال له : لا تتزوج من النساء إلا شابة ، ولا تأكل اللحم إلا فتيا ولا تأكله حتى تنعم طبخه، ولا تشرب دواء إلا من علة، ولا تأكل من الفاكهة إلا نضيجها، ولا تأكل طعاما إلا أجدت مضغه ، وكل ما أحببت من الطعام واشرب عليه ، فإذا شربت فلا تأكل. ولا تحبس الغائط ولا البول . وإذا أكلت بالنهار فنم. وإذا أكلت بالليل فامش ولو مائة خطوة .

ومن موضوعات هذا الكتاب أيضًا :

ـ ما يصلح لكل طبيعة من الأغذية .

ـ الحركة والنوم مع الطعام .

ـ تقدير الطعام وما يقدم منه وما يؤخـر .

ـ الأوقات الـتى يصلح فيها الطعام .

ـ الأطعمة اللطيفة .

ـ الأطعمة الغليظة .

ـ الأطعمة الحـارة .

ـ الأطعمة الـباردة .

ـ الأطعمة اليابسـة .

- الأطعمة الحـــارة .
- الأطعمة الـباردة .
- الأطعمة اليابســة .
- الأطعمــة الرطـبة .
- الأطعمة السريعة الانهضام .
- الأطعمة البطيئة الانهضام .
- الأطعمة الضارة بالمعــدة .
- الأطعمة التى تفسد فى المعدة .
- الأطعمة الملينة المسملة للبطن .
- الأطعمة الــتى تحبس البطــن .
- الأطعمــة الـتى تنفــخ البطــن .
- ما يذهب النفخ مــن الأطعمة .
- الخمــر المحرمــة فـــى الكتاب .
- آفـــات الخمر .
- الفـــرق بيـــن الخمـــر والنبيذ .

* * *

-٢٥-
كتاب اللؤلؤة الثانية
في
الفكاهاتِ والملَح

يقول المؤلف ابن عبد ربه : نحن قائلون بها ألّفناه فى كتابنا هذا من الفكاهات والمُلَح التى هى نزهة النفس، وربيع القلب، ومرتع السمع، ومجلب الراحة ، ومعدن السرور .

ـ وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « روحوا عن القلوب ساعة بعد ساعة، فإن القلوب إذا كلت عميت» .

ـ وقال صلى الله عليه وسلم : «لا خير فيمن لا يطرب »

ـ وقال : «كل كريم طروب»

ـ وفى بعض الكتب المترجمة أن يوحنا وشمعون كانا من الحواريين ، وكان يوحنا لا يجلس مجلسا إلا ضحك وأضحك من حوله، وكان شمعون لا يجلس مجلسا إلا بكى وأبكى من حوله .فقال شمعون ليوحنا: ما أكثر ضحكك كأنك قد فرغت من عملك ؟ فقال له يوحنا: ما أكثر بكاءك كأنك قد يئست من ربك ؟ فأوصى الله إلى المسيح : أن أحب السيرتين إلىّ سيرة يوحنا .

من نوادر أشعب :

ساوم أشعب رجلاً بقوس، فقال له: أقل ثمنها دينار. قال أشعب: والله

لو أنك إذا رميت بها طائرا فى جو السماء، فوقع مشويا بين رغيفين، ما اشتريتها منك بدينار أبدا .

وضرب الحجاج أعرابيا سبعمائة سوط وهو يقول عند كل سوط : شكرا لك يا رب. فلقيه أشعب ،فقال :أتدرى لم ضربك الحجاج سبعمائة سوط؟ قال: ما أدرى .قال: لكثرة شكرك لله. يقول الله : ﴿ لئن شكرتم لأزيدنكم ﴾[1].

* * *

(١) إبراهيم : ٧

الفهرس

الموضوع	الصفحة



للمؤلف :

ـ موسوعة حكام مصر من الفراعنة إلى اليوم .

دار الشروق ـ القاهرة الطبعة الأولى ١٩٨٧ الطبعة الخامسة ١٩٩٤ .

ـ تاريخ أنظمة الشرطة فى مصر.

دار الشروق ـ القاهرة ١٩٩٠ .

ـ ببليوجرافيا دراسات الأمن العام والشرطة . والعلوم الجنائية .

بالاشتراك مع الأستاذ أبوالفتوح عودة .

الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٩٠ .

ـ المجمل فى تاريخ مصر .

دار الشروق ـ القاهرة ١٩٩٣ .

ـ المراسم فى القانون العام المصرى « تحت الطبع »

دراسة مقارنة عن أنظمة الحكم وأنظمة القصور والمراسم فى مصر منذ الفراعنة إلى اليوم .

حصل المؤلف عن الأصل الفرنسى على درجة دكتوراه الدولة من جامعة مارسيليا بفرنسا .

وحصلت الرسالة على جائزة أفضل رسالة دكتوراه فى تاريخ النظم القانونية والسياسية والاجتماعية وعلى الميدالية الذهبية لمدينة إكس ـ إن ـ بروفانس ١٩٨٥.

رقم الإيداع : ١٠٦٨٨/ ٩٥
I.S.B.N. : 977 - 09 - 0312 - 4

مطابع الشروق

القاهرة ١٦ شارع جواد حسني ـ هاتف : ٣٩٣٤٥٧٨ ـ فاكس ٣٩٣٤٨١٤
بيروت ص ب ٨٠٦٤ ـ هاتف ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٧٦٥ ـ ٨١٧٢١٣



